الخفافيش

وما خفي كان أعظم

رواية

تأليف

إسماعيل محمد

طبعة ٢٠١٩

محمد، إسماعيل

الخفافيش وما خفي كان أعظم: رواية /إسماعيل محمد؛ تصميم الغلاف عبدالله نصر- الجيزة: أطلس للنشروالإنتاج الإعلامي، ٢٠١٨ .

٢٠٠ ص ،٢٠ سم

تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٣٩٩ ٧٠١ ٤

١- القصص العربية

أ- العنوان

٨١٣

الخفافيش

وما خفي كان أعظم

رواية

تأليف

إسماعيل محمد

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة

المنشر

نوران المصرى

رقم الإيداع

٢٠١٨/١٩٥١٣

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٧٠١-٤

الطبعة الاولى

طبعة ٢٠١٩

الكتاب : الخفافيش وما خفي كان أعظم

المؤلف : إسماعيل محمد

الغلاف : عبدالله نصر

الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

sales@atlasdic.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥

فاكس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

إهداء

إهداء إلى أغلى إنسانة لي في الكون

إلى زوجتي الحبيبة

وشريكة دربي

بارك الله في عمرك يا حبيبتي

مقدمة

إن أحداث وشخصيات هذه الرواية من خيال المؤلف ولا تنتمي للواقع بأية صلة، وأي تشابه بين شخصيات الرواية وبين أشخاص حقيقيين إنما هو بمحض الصدفة والمؤلف ينفي مسئوليته عن ذلك.

إن الفساد الواقع في البلاد من عقول مريضة لا يسأل عنه إلا صاحبه ولابد له من نهاية، فمهما طال الليل لابد أن ينجلي ومهما طال انتظار النهار فإنه قريب بأذن اللّٰه،

لذلك أقولها صراحة لتلك العقول المريضة:

﴿فصبر جميل﴾

إسماعيل محمد

الفصل الأول

مهمة صعبة

ليلة رأس السنة عام ٢٠١٤

دوت نغمات حفل صاخب شق سماء الليل البهيم بلا هوادة داخل إحدى الفيلل الكبيرة في التجمع الخامس في العاصمة المصرية القاهرة، دقائق قليلة ويحتفل الحضور بالعام الجديد وتجلي هذا واضحًا في استمتاع المدعوين بالحفل الرائع الذي نظمه أحد كبار رجال الأعمال ذو الأسماء البارزة في البلاد.

كانت الفيلا ذو طراز عتيق تشير برفاهية كبيرة لأصحابها حيث الأساس الفاخر الذي تم تصنيعه خصيصًا في عواصم أوربية لطالما اتسمت بالرقي والجمال عبر تاريخها، كانت مكونة من مبني من طابقين اكتسي باللون الأبيض اللامع تتخلله بعض اللمسات الفنية باللون النباتي بينما تمتد أمامه حديقة كبيرة من الأخضر تحتل ثلثي مساحة الفيلا تقريبًا وضع بها بعض الأثاث الفاخر بطريقة تنم عن الذوق الراقي.

وفي منتصفها تجد مسبح كبير يأخذ شكل المستطيل ثبتتّ في زواياه أربع نافورات كبيرة نحاسية الشكل تنسال منها المياه داخل المسبح في تناغم جميل رائع وكأنها لوحة فنية تكمل بعضها البعض، بينما ملئ سطح المسبح ببالونات صغيرة مختلفة الأشكال والألوان والأحجام فرضت نفسها عليه لتزيد من جماله مع تلك الأضواء الكبيرة التي تنير قاعه الرخامي.

كان الحضور يملأ المكان بمختلف الأعمار، كلا في مجموعاته فتري الشباب حول المسبح يضحكون ويمرحون بينما تجلس السيدات في أركان الحديقة للتحدث في أمور أنثوية لا دخل لغيرهن فيها، في حين كان أصحاب النفوذ والسلطة يجتمعون في هدوء داخل الفيلا للإستمتاع بخصوصيتهم بعيداً عن جنون الشباب وثرثرة النساء.

وبين هذا وذاك أشار رجلاً في العقد الخامس من العمر لآخر يصغره بسنوات فأطاعه على الفور وقد لمعت عيناه ببريق عجيب ينم على الأهمية الكبرى لاستدعائه، وتحرك الرجل سريعًا خلفه حتى دلف الاثنان إلى غرفة ما بدا من محتوياتها أنها غرفة مكتب الرجل الأول والتي يمارس فيها أعماله.

جالت عيني الرجل الثاني في تلك الوجوه التي تحدق فيه وعلى وجهها شبح ابتسامة تنم عن شيء ما فبادلهم الرجل نفس الشعور لكن بابتسامة واسعة تنم عن امتنان كبير. إنَّ بعض هذه الوجوه يعرفها الرجل الثاني عن ظهر قلب وبل ويشاهد إحداها كل فترة على شاشات الفضائيات، كانت تكتنفه دهشة كبيرة لكنه نفضها عن نفسه سريعًا فها هو يستلم جائزته بعد عمل وتوسل دام سنوات.

وبعد أن دعاه صاحب المنزل للجلوس قال له بهدوء شابهه غموض كبير:

«مبروك عليك العضوية يا صدقي»

أجاب الرجل وقد أغمض عينيه لثانية واحدة بأمتنان كمن كان ينتظر نتيجة الثانوية العامة:

«اللّه يبارك في سعادتك يا باشا، أنا متشكر جداً»

هنا تدخل أحد الجالسين محذرًا بهدوء:

«أنت إنسان ناجح يا صدقي وإحنا الفاشلين ملهومش مكان بينا»

تمتم الرجل بهدوء:

«فاهم سعادتك وصدقوني حكون عند حسن ظنكم»

أومأ معظمهم برأسه في تفهم بينما اتسعت ابتسامة» صدقي «كثيرًا على تلك الاتفاقية الشفوية التي تمت للتو

اتفاقية الشيطان

●●●

منتصف ديسمبر عام ٢٠١٧

«إسماعيل»

نطقها الرجل والدماء تنزف من رأسه ووجه بينما جسده ممدد على أرضية ذلك المكان الذي شهد تلك المعركة الدموية الرهيبة، التفت الشاب الآخر والدماء تغطي نصف وجهه ليرى فوهة المسدس الناري الذي يمسك به الرجل تتجه نحوه، كان العرق يتصبب على وجهه رغم برودة الهواء في ذلك الوقت من العام وشعر بأن الزمن قد توقف في تلك اللحظة العصيبة وأنها النهاية المحتومة.

هنا عبثت به أفكاره وقادته ذاكرته لتعيد عليه بداية تلك الأحداث الرهيبة في ذلك اليوم الملحمي الذي لن ينساه أبدًا، هذا إنْ بقي على قيد الحياة.

●●●

قبل ثلاثة أسابيع

داخل إحدى الإستديوهات الكبيرة والتابعة لإحدى القنوات الفضائية المعروفة تحرك رجلٌ في أوائل الأربعينات طويل القامة متوسط الجسد خمري البشرة له عينان ضيقتان تشع منها نظرات بدت كسهام مخيفة تخترق الصدور لتمر منها ملقية تحية القلوب بين أضلعها، جلس على كرسيه خلف مكتب كبير وهو في أبهى زينته، كان أحد العلامات المعروفة في مجال الأعلام المصري خاصة وهو يقدم برنامجه الشهير في هذه القناة الفضائية التي يمولها رجال أعمال كبار، ومن خلف الكاميرات جلس شاب آخر طلع البهية حسن الثياب والمظهر ، كان خمري البشرة ذو وجه بيضاوي وعينين سوداوين، كان من الواضح من تصرفاته وأقواله أنه ملما بزمام الأمور في ذلك المكان فكان هو مخرج هذا البرنامج الشهير

تمتم الشاب بهدوء في المذياع الصغير المعلق خلف أذنه متحدثًا للإعلامي الكبير:

«جاهز يا أستاذنا؟»

نظر الإعلامي المعروف إليه مجيبًا بعجرفة كبيرة

«أنا دايمًا جاهز يا خالد»

هنا استدار المخرج يلقي نظرة أخيرة على المكان والحاضرين ثم هتف «خالد» بصوت عالٍ ليسمع منفي الأستوديو الكبير حتى لا يتحدث أحدهم مقاطعًا البث المباشر للحلقة:

«أوكى يا جماعة.... ستاند باي ... ثري... تو.... وان»

ومع نهاية جملته بدء الإعلامي الكبير برنامجه الذي يحظى بنسبة مشاهدة خرافية جعلت معدلات عرض الإعلانات في القناة يتقافز للضعف:

«مساء الخير أعزائي المشاهدين وأهلاً بحضراتكم في حلقة جديدة من برنامج - قلب الحقيقة - وإحنا الليلادي معانا خبر له صدى واسع جدًا واحتل مساحات كثيرة من صفحات السوشيال ميديا، ألا وهو خبر القبض على إحدى تجار المواد المخدرة اللي بينشروا الفساد والسموم بين الشباب المصري ويدمروا حياتهم، لكن بعض المصادر أكدت وجود اسم رجل أعمال معروف في القضية»

هنا ترك الرجل الأوراق التي كان يقرأ منها الخبر ونظر إلى الكاميرا مباشرة وعاد يكمل بهدوء:

«يا جماعة إحنا بنحي عيون الأمن الساهرة من أجل الحفاظ على مصر وشعبها كما نتوجه بالشكر والتقدير لوزارة الداخلية وجهودها المكثفة التي يبذلها رجالها للقبض على الخاربين في مصر»

تنهد بهدوء ثم عاد يكمل قائلاً:

«لكننا مش عايزين نخلط الأمور ببعضها ونجيب أسماء رجال شرفاء مع المجرمين وتجار الصنف، فأنا أرجو من وزارة الداخلية التحقق من صحة المعلومات لديها بين المجرمين والسادة الشرفاء حتى ينال كل ذي حق حقه وينال كل مجرم عقابه، نطلع فاصل ونرجع تاني .... تابعونا»

●●●

في صباح اليوم التالي

جرى العمل على قدم وساق داخل البورصة المصرية والتي بدت كخلية نحل كبيرة تعمل بجهد خرافي لإرضاء مليكتها، ومن بين هؤلاء الأشخاص المتواجدين بالعشرات داخل ذلك الصرح المصري الكبير تحرك رجل في العقد الثالث من العمر يرتدي بذلة أنيقة تناسب المكان الذي يعمل به، كان يسير بثبات بين الحاضرين وكأنه شبح يمر من خلالهم دون أن يروه بينما عيناه

تتلفت يمينًا ويسارًا في ريبة ليتأكد من أن أحدًا لا يتابعه، حتى وصل إلى إحدى الأبواب التي تؤدي للممر طويل تراصت في آخره بعض المكاتب الصغيرة، فتحه الرجل ودلف منه ثم أغلقه خلفه فورًا ليجد نفسه في مواجهة شخص ما ضخم الجثة عريض المنكبين بهى الزينة يرتدى بذلة فاخرة ونظارة شمسية من إحدى الماركات العالمية المعروفة.

وما أن وقف الرجل الأول أمامه حتى سأله على الفور:

«إيه الأخبار؟»

أجابه الشاب بثبات وعلى وجهه ابتسامة خفيفة

«أحنا بعنا ١٠٠ألف سهم لحد دلوقتي يا فندم»

هز الرجل الكبير رأسه علامة الإرضاء ثم عاد يسأل الشاب:

«وعارف هتعمل إيه؟»

«أيوه سعادتك سعر الأسهم دي حينزل ٨٠٪ بعد ما نبيع كل الأسهم بتاعتنا»

هنا أكمل الرجل الثاني سريعًا وهو يشير في وجه بإحدى أصابعه (السبابة)

«لكنفي الوقت إللى هنبلغك بيه»

أومأ الشاب برأسه متفهما وهو يجيب

«تحت أمر معاليك يا باشا»

أشار الرجل للشاب الذي عاد أدراجه من حيث أتي في حين أستدار الرجل الضخم وسار حتى نهاية الممر بينما اختطفت عيناه نظرة سريعة على المكاتب التي كان من الواضح أن أصحابها تركوها في هذا الوقت عن عمد.

●●●

تحرك رجل داخل مديرية أمن الإسكندرية بخطوات ثابته هادئة دالة على الثقة بالنفس ثم استقل المصعد إلى الطابق الثالث بين جدران هذا المبني الكبير الذي يخشى المارة مجرد النظر إليه. كان شابٌ في أوائل الثلاثينات قوي البنية خمري البشرة ذو وجه مستدير وعينان عسلية تعلوها خصلات شعر ناعم أسود اللون، كان متوسط القامة يتمتع بجسد رياضي يتناسب مع طبيعة عمله في ذلك المكان المهيب لكنه رغم ذلك كان طيب القلب لحد كبير.

قطع طريقه وسط تحية أفراد الشرطة حتى وصل لباب إحدى المكاتب التي تتراص بجانب بعضها فقام الحارس الذي

يجلس أمام إحداها وأدى التحية الميري في احترام كبير فقال الرجل الأول وهو يدلف إلى مكتبه:

«صباح الخير يا خلف»

أجاب الرجل سريعا وهو يبتسم «صباح النور يا فندم»

انتزع الرائد «إسماعيل يسري» سترته أولاً قبل أن يجلس على كرسيه خلف مكتبه الكبير ثم تمتم ببطء

«هاتلي شاي»

أومأ الرجل برأسه وهو يجيب

«أوامر سيادتك يا باشا»

لكن قبل أن يغادر الشويش «خلف السبعاوي» مكتب الرائد «إسماعيل يسري» قال بلهجة حازمة تعود عليها طوال عمله في مديرية مباحث الإسكندرية

«سيادة المقدم – سراج الدين – كان طالب سيادتك أول ما توصل يا باشا»

نظر الرائد له وهو يزفر مجيبا

«على الصبح كده، حاضر»

قام من مكانه مغادرًا مكتبه وصار وسط طرقات داخلية تأخذ شكل الأفعى حيث أنها تتحني يمينًا ويسارًا حتى وصل لغرفة رئيس مكتب مكافحة المخدرات بالإسكندرية فقام الحارس مؤديًا التحية الميري قبل أن يطرق الباب ويقوم بفتحه ليدلف الرائد «إسماعيل» إلى المكتب الكبير ورفع يمناه ملقيًا التحية بهدوء:

«صباح الخير يا فندم»

أجابه اللواء «سراج الدين» بصوت هادئ رصين:

«صباح النور يا إسماعيل»

جلس الرائد «إسماعيل» أمامه ونظر للرجل المتوسط القامة ممتلئ الجسد ذو وجه بيضاوي خلي مشعر الذقن كعادة رجال الشرطة وله عينيّن واسعتين سوداء، أسفلهما أنف صغير معقوف تحته شارب كث، وعلى الفور تساءل المقدم باهتمام كبير

«إيه الأخبار يا سيادة الرائد؟»

نطقها رئيس مكتب مكافحة المخدرات فأجابه الرائد» إسماعيل يسري» بنفس الاهتمام:

«إحنا قربنا أوى سعادتك، التحريات بتقول إن» عزيز «بيحضر لعملية كبيرة أوى اليومين إلى جايين ومصادرنا أكدت الكلام ده ومن المنتظر إن المصدر بتاعي هيعرفنى وقت ومكان التنفيذ في أقرب وقت ممكن بعد التأكد من المعلومات»

تنفس الرجل بهدوء وهو يجلس خلف المكتب وعاد بظهره للوراء قليلاً ثم نظر لعيني «إسماعيل» مباشرة وقال بهدوء نسبي:

«أنت من رجالتنا الأكفاء يا إسماعيل وأنا بثق فيك وفي شغلك لكنى عايز أفكرك إن الشخصية إللى بنتعامل معاها مش سهلة، ده رجل أعمال معروف في البلد وعلاقاته كبيرة ولو مطلعتش المعلومات إللي جمعتها في الشهور إللي فاتت صحيحة حطت الإدارة كلها في موقف محرج جدًا»

رغم شعور القلق الذي تسلل إليه ألا أن الرائد «إسماعيل يسرى» أجاب بثبات «متقلقش سعادتك أنا واثق من معلوماتي جدًا وإن شاء الله مش حخذلك يافندم»

بصوت الأب الحنون قال اللواء» سراج الدين»

«والدك الله يرحمه كان صديق عزيز عليا وده يخلينى أنبهك يا إسماعيل، أنا بعتبرك زى ابني بالظبط»

ابتسم الرائد الشاب مجيبًا بامتنان كبير:

«ده شرف كبير ليا يا فندم، حست أذن سعادتك دلوقتي»

وبينما هم ليغادر مكتب اللواء «سراج الدين» هتف الأخير فجأة:

«إسماعيل»

التفت الشاب وعيناه تتساءل في صمت فأجابه الرجل خلف المكتب الوثير:

«حرصٍ جدًا أنت ورجالتك وخلي عيونكم دايمًا مفتوحة»

أومأ الرائد برأسه متفهما ثم تحرك مغادرًا المكتب بينما عيني القائد تلاحقه وشيء ما يعبث بعقله، شيئًا ما يؤكده حسه الأمني من واقع خبرته خلال سنوات عمله في مكتب مكافحة المخدرات، شيء ما يخبره بأن الرائد «إسماعيل يسرى» سيفتح له باب من الجحيم على مصراعيه وأن الأيام القادمة له لن تمر عليه مرور الكرام.

●●●

في ذلك المساء

وداخل إحدى الفيلات التي تتمتع بالرفاهية والذوق العالي في منطقة «كفر عبده» بالإسكندرية والتي يقطن بها كبار شخصيات المجتمع أضافة إلى قيادات الأمن الكبرى تحرك شاب عشريني العمر وهو يمسك بطاولة صغيرة عليها أكواب من العصائر الطازجة، وصار الشاب بين الحاضرين الذين انتشروا في ذلك المكان يتسامرون ويتحدثون بينما أصوات الأغاني الشبابية تحلق عاليًا في سماء ذلك الليل البهيم. وعلى المسبح وقف الشباب يمرحون ويطلقون ضحكاتهم الرنانة بينما أخذت عدسات الإضاءة الكبيرة والتي انتشرت في المكان باحترافية كبيرة تطلق نورها عبر المياه الصافية لتصطدم بأرضية المسبح الكبير وكأنها تتصارع معها من أجل لا شيء.

ووسط هذه الأجواء والضجيج الكبير الذي عكر صفو هذا الحي الهادئ تحرك رجل في أواخر الأربعينات له وجه مستطيل تتوسطه عينان ضيقتان اكتست بالسواد، متوسط القامة ذو جسد ممتلئ قليلاً يرتدي من الثياب الفاخرة ما يجعله ملكًا متوجًا على عرش ذلك المكان الكبير، اقترب من مجموعة من الرجال يجلسون على مقاعد وثيرة ليقاطع حديثهم بصوته الغليظ وهو يقول:

«إيه الأخبار يا جماعة؟ يا ترى الحفلة عجباكم؟»

أجابه أحدهم ضاحكًا:

«روعه يا عزيز دايمًا بتفجئنا بلياليك الجميلة»

أجابه «عزيز مراد» رجل الأعمال المعروف مبتسمًا:

«يا عزيزي الحياة جميلة ولازم تعيشها زي ما هي بجمالها»

هنا تساءل رجلاً أخر:

«أومال فين – شيري – يا عزيز؟ عايزين نقولها كل سنة وهي طيبة»

أجابه «عزيز» مبتسمًا

«نزلة حالاً يا أمين باشا»

في جانب آخر داخل الفيلا الكبيرة تجلس مجموعة من السيدات تتراوح أعمارهن بين الثلاثينات والأربعينات تتوسطهم امرأة في منتصف الأربعينات لها وجه مستدير ذو بشرة بيضاء بعض المساحيق الخفيفة مع عدسات لاصقة زرقاء أسفلها أنف صغير ترتدي مع ثيابها الفاخرة حلى كثير يزينها فجعلها أميرة وسط قرنائها من سيدات المجتمع إنها» نادية سليمان «زوجة عزيز مراد» التي دائمًا ما تشوب لهجتها الغرور والتكبر وأثناء

حديثها قالت إحداهن لها «تحفة فستانك يا ناني اشتريته منين؟»

أجابتها السيدة بعجرفة شديدة وهي تشير بأصابع يدها بدت كحركة مسرحية «أنا بجيب كل فساتيني من باريس حتى فساتين شيري بنتي كلها من هناك»

أومأت السيدة الأخرى برأسها في حين التفتت «ناديه» إلى أخرى متسائلة:

«أيه أخبار الإعلامي الكبير يا ناهد؟ بصراحة الحلقة اللي فاتت كانت تحفة»

أجابتها المرأة وقد أسعدها كثيرًا أن شخصية مثل» نادية سليمان» تتحدث عن زوجها بهذا الشكل:

«كتير بعتوله ماسدجات تهنئة على الفيس بوك بيحيوه فيها على موضوع الحلقة لكن بعض صحف المعارضة انتقدته لنفس السبب برده، موضوع الحلقة» ظهر الضيق جليا في صوت زوجة رجل الأعمال الشهير وهي تقول:

«صحف المعارضة مورهاش حاجه غير إنها تولع الدنيا نار، وكمان جوزك مغلطش ده إتكلم عن الفساد اللي في البلد والناس اللي بيستغلوا نفوذهم بطرق غير مشروعة، دول لازم يتحاكموا»

أومأت السيدات برأسها تأييدا لكلامها بينما في اللحظة التالية اتجهت أنظار الجميع إلى تلك الفتاه التي تنزل درجات السلم الداخلي للفيلا وهي ترتدي فستان وردي مطرز بحبات بيضاء لامعة ولها بشره بيضاء وعينان عسليتان متوسطة القامة تنسدل خصلات شعرها الطويل حتى منتصف ظهرها. وما أن رآها الجميع حتى بدأوا بالتصفيق وتهنئتها بعيد ميلادها. استمر الحفل حتى الساعات الأولى من صباح اليوم الجديد ثم انصرف الجميع إلى منازلهم.

●●●

فتح «إسماعيل» عينيه بعدما شعر بأصابع رقيقة تداعب بشرته الخمرية فطالعته عينان خضراء تتوسط وجه مستدير رسمت عليه ابتسامة خلابة خطفت قلبه فحاول جاهداً رسم ابتسامة مماثلة على وجهه ثم تمتم بهدوء:

«صباح الخير»

خرج صوت الفتاة عذب بنعومة كبيرة يجيبه

«صباح النور يا حبيبي، قوم بقى علشان أنا حضرت الفطار»

أومأ برأسه موافقًا فتركته يستفيق من نومه وذهبت هي لغرفة الطعام.

كانت في أوائل الثلاثينات بيضاء البشرة لها بياض الثلج فهي من أم لبنانية وأب مصري ولدت في مصر وعاشت مع والدتها بعد وفاة والدها وتخرجت من كلية الفنون الجميلة لتصبح رسامة ماهرة حتى تعرفت على الرائد «إسماعيل يسرى» في إحدى حفلات الزواج ونشبت بينهما علاقة حب قوية توجت بالزواج، لكنهما حتى الآن لم يرزقا بطفل يملأ حياتهما، ورغم ذلك لم يؤثر هذا على علاقتهما نهائيًّا فهو يعشقها بجنون ويخش عليها حتى من نسمات الهواء التي تمر بجوارها فتعبث بخصلات شعرها الناعم لتتطاير بعشوائية يمينًا ويسارًا.

بعد وقت ليس بكثير جلسا الاثنان يتناولان إفطارهما ولاحظ «إسماعيل» شرود «نورا» زوجته فتساءل بهدوئه المعتاد:

«في إيه يا حبيبتي؟»

نظرت إليه فرأى نظرة ما في عينيها هي خليط من الخوف والقلق فعقد حاجبيه وأمسك يدها متسائلاً بعينيه فأجابته بهدوء:

«إسماعيل أنت ممكن تسبني؟»

فأجئه سؤالها فقام من جلسته واحتضن رأسها في صدره وضغط أناملها عليها لتشعرها بالأمان ثم تساءل في قلق «ليه بتقولي كده يا نورا؟»

سالت دمعة دافئة من عينيها وهي تجيب «علشان مفيش أطفال لينا، أنا حلمت أنك سبتني»

ابتسم هو بحنان الزوج والأب والأخ وذاد من ضغط يده عليها ثم قال هامسًا:

«حبيبتي أنتى عندي بالدنيا كلها، وكمان ده كابوس متشغليش بالك بيه، أنا حفضل أحبك طول عمري ومستحيل أتخلى عنك»

لكنه لم يكن يعلم أنها كذبت عليه وأن الكابوس الذي رأته كان هو بطله وأنها تخشى عليه من حدوث مكروه له شر لا يمكن احتماله شر آتى من الجحيم «جحيم الأشرار»

●●●

داخل إحدى الأماكن الموحشة، وفى منزل مهجور على أطراف الإسكندرية يجلس رجلٌ في العقد الثالث من العمر وقد رُبطت أطرافه الأربعة لتمنعه من الحركة، صوت نحيبه يسمع هؤلاء الرجال الستة ذو الوجوه البشرية التي اكتستها ملامح الشر وهُم ينظرون إليه في تشفٍ واضحٍ.

بجـواره يجلـس رجـلٌ آخـر في صمـت كان ينظـر لوجوههـم ويـرى تراقـص الشـياطين عليهـا كان عاجـزًا عـن الحركـة مثـل الآخـر، كدمـات عـدة ملئـت وجـه الرجـل الأول وأزرقـت بعـض المناطق فيـه فظهـرت واضحـة مـن أسـفل الدمـاء التـى سـالت منـه بينمـا ظـل الرجـل الثانـي صامتًـا وتحامـل علـى ألامـه في شـجاعة يُحسـد عليهـا.

لحظـات ليسـت بكثيـرة ودخـل رجـل آخـر، شـاب في عقـده الثالـث قـوي البنيـة طويـل القامـة لـه جسـد رياضـي حـاد النظـرات ذو وجهـه كبيـر، خمـري البشـرة عريـض المنكبـين فـكان أشـبه بالأبطـال الخارقـين في أفـلام الخيـال العلمـي. وفـور دخولـه تحـرك الرجـال سـريعًا حولـه وجـذب أحدهـم مقعـد خشـبي أُحضـر خصيصًـا لـه ليجلـس الشـاب عليـه ويطلـق نظراتـه الحـادة نحـو الرجلـين، هنـا تحركـت شـفاه الرجـل المنتحـب في البـكاء ليتحـدث «أمجـد باشـا واللّه العظيـم أن....»

قاطعه الرجل وهو يشير إليه بصرامة:

«ششششش»

أطبـق الرجـل فمـه فـورًا فنظـر الشـاب نحـو الرجـل الصامـت وسـأله بهـدوء «قولـي بقـى يـا بطـل عرفـت إيـه عننـا؟»

لاذ الرجل بالصمت والتقت عيونهما معًا في تحد واضح ثم ابتسم «أمجد» وتساءل مرة أخرى «هي الضيافة عندنا معجبتكش ولا إيه؟»

هنا تحرك أحد الرجال ووجه لكمة قوية لوجه الرجل المقيد فترك صمته وتأوه عاليًا من الألم فأشار«أمجد» له بالتوقف ونظر للرجل الأول المنتحب من البكاء فسأله «أنت عارف اللي بيغلط معانا بيحصله إيه؟»

أسرع الرجل يجيب

«والله ماكنت أعرف يا باشا أنا كنت ماشي على أوامرك، أنا من رجالتك يا أمجد باشا ..... أنا من رجالتك» «الغبي مالهوش مكان بينا يا حسين»

صرخ الرجل بهستريا

«لا يا باشا أنا عندي عيال يا باشا .... أنا عندي عيال»

قام «أمجد» من مكانه غير مبالي بصرخات الرجل المستغيث وأشار لأحد الرجال فأحضر له كيسا بلاستيكيا كبيرا بينما صراخ الرجل يرتفع أكثر وأكثر فلم يكن هناك سميع في هذا المكان الذي يشبه الصحراء الجرداء.

وبكل غضب الدنيا، غضب إنسان لا يعرف الرحمة ألبس «أمجد» الكيس البلاستيكي في رأس الرجل المسكين الذي يعلم يقينا أنها آخر لحظات يعيشها في حياته.

التقط «أمجد» شريطًا لاصقًا قطع منه حوالي نصف المتر تقريبًا وقام بلفه حول عنق الرجل المستغيث حتى أغلق الكيس على رأسه بأحكام.

القسوة وعدم الرحمة صفات أظهرها «أمجد» وهو يرى الرجل المسكين يموت خنقا، لحظات أليمة حاول الرجل أن يلتقط فيها آخر أنفاسه داخل وعاء بلاستيكي لعين.

يهز رأسه يمينًا ويسارًا يستغيث بزملائه لكن لا أحد يجيب فهم يعلمون جيدًا أنَّ لو أحدهم أخطأ سيوضع مكان «حسين» الذي ينازع بآخر أنفاس لديه.

حاولت رئتيه بصعوبة التوسل لاستنشاق بعض الهواء لكن هيهات ثواني قليلة وانتهت عملية الإعدام البشعة ووقف «أمجد» ينظر لجثة الرجل التي امتقع وجهها في بشاعة، نظر لها ببرود متناهي بينما لمعت نظرة الرضا الكامل في عينيه والتي تراقص أمامها الشياطين.

هنا وجه «السفاح» نظراته النارية إلى الرجل الآخر الذي علم بكل يقين أن اللحظة المنتظرة قد حانت، لحظة إعدامه ... خنقًا.

●●●

جلس الرائد «إسماعيل يسرى» في مكتبه داخل مديرية أمن الإسكندرية يتابع نتيجة التحريات في القضية التي يعمل عليها منذ شهور وبعد لحظات قليلة دخل النقيب «أحمد بدراوي» ملقيًا التحية

«صباح الخير يا فندم»

أجاب الرائد «إسماعيل» بهدوء

«صباح النور يا أحمد»

ثم انهمك في قراءة الأوراق التي أمامه على سطح المكتب، ولم يشأ النقيب «أحمد» أن يقاطعه فجلس ينتظر أن يفرغ من قراءة التحريات.

كان شابًا طويل القامة رفيع الجسد له وجه مستطيل خمري البشرة تتوسطه عينان عسلية. كان يشترك مع الرائد «إسماعيل يسري» في هدوء الطبع وحكمة التفكير:

«إيه الأخبار؟»

نطقها «إسماعيل» في اهتمام كبير فأجابه الشاب فورًا:

«أخبار مهمة جدًا سعادتك، مصدرنا أكد لي وقت وتاريخ العملية»

لمعت عيني الرائد باهتمام كبير وسخط على نفسه لأنه أضاع الدقائق السابقة دون معرفة تلك المعلومات الهامة وظل يستمع باهتمام شديد لما يقوله النقيب «أحمد بدران» عن أكبر عملية لتهريب المخدرات والتي ستنفذ في خلال أيام قليلة من الآن ثم عقد حاجبيه عندما سمع ما يقوله الشاب الجالس أمامه:

«لكن الغريب يا فندم أن مصدرنا بقاله حوالي ١٨ ساعة تقريبًا مختفي ومبلغنيش بحاجة وسعادتك عارف أن تقارير المراقبة بناخدها كل ٦ساعات»

زاد انعقاد حاجبي الرائد «إسماعيل يسرى» وهو يتساءل

«تقصد إيه يا أحمد؟ تفتكر ممكن يكون انكشف مثلاً؟»

«مش عارف سعادتك، لكن الشاويش «سلامة» اختفى فجأة وحتى مروحش بيته إمبارح، ده حتى تليفونه مغلق ولما سألنا مراته قالت إنه مجاش البيت لحد دلوقتي»

داعبت الشكوك عقل رجل الشرطة وشرد ببصره قليلاً ثم عاد ليتساءل:

«إمتى وفين آخر مرة كان موجود فيها - سلامه - في نقطة المراقبة؟»

أجابه «أحمد» سريعًا كأنما ينتظر هذا السؤال:

«كان قدام بيت - فرغلي حسين - وده زي ما سعادتك عارف واحد من الرجالة المهمين عند أمجد» تنفس «إسماعيل» بعمق وعاد يغرق في تفكيره.

هل يمكن أن يكون قد انكشف أمر الرجل حقًا؟

هل خطفته رجال «أمجد»؟ وإذا لم يحدث هذا فأين هو الآن؟

والأهم أيضًا ماذا سيفعل بعدما علم بميعاد ومكان العملية المنتظرة؟

ظلت الأسئلة تعبث بعقله وطال به شروده في حين ظل هو بلا جواب.

●●●

«بتقول إيه يا أمجد؟»

نطقها «عزيز» وهو يجلس داخل فيلته بالإسكندرية بينما ظهرت ملامح الغضب على وجهه فأجابه «أمجد» بصوته الذي يشبه نظراته الحادة

«أيـوه يـا باشـا الشـرطة بتراقبنـا مـن فتـرة كبيـرة وبتراقـب تحركاتنـا وأنـا مـن رأيـي أننـا نأجـل العمليـة، إحنـا منعرفـش هـم عرفـوا إيـه عننـا بالظبـط»

هنا قام «عزيز» من مكانه وصرخ غاضبًا

«نأجل إيه يا مجنـون؟ هـو لعـب عيـال؟ العمليـة خـلاص هتـم في خـلال سـاعات، أقـول إيـه للنـاس اللـي بـره؟»

صمـت «أمجـد» وأشـاح بوجـه بعيـدًا في حـين تحـرك «عزيـز» بعصبيـة شـديدة داخـل الفيـلا وهـو ينفـث دخـان سـيجاره الكوبـي الفاخـر، ووقـف أمـام تمثـال حديـدي يأخـذ مسـاحة النصـف متـر تقريبًـا في إحـدى جوانـب الفيـلا وظـل يفكـر بعصبيـة شـديدة، ولـم يطـل تفكيـره طويـلاً فعـاد ينظـر «لأمجـد» ذراعـه الأيمـن قائـلاً بحـزم واضـح:

«العملية حتم في ميعادها»

تمتم السفاح بهدوء:

«لكن يا باشـا ده في خطـورة علينـا وعلـى بضاعتنـا إحنـا مـش عارفـين المخبـر ده كان مبلغهـم إيـه بالضبـط؟»

تسـاءل «عزيز» بهدوء

«أنت مش بتقول أن «فرغلي» قالك أنه مبلغهوش حاجة؟ وأن أنتم اكتشفتم المخبر ده لما بعت واحد من رجالتك لبيت فرغلي وشاف المخبر بيراقب البيت»

أجابه «أمجد» سريعًا

«أيوه يا باشا لكن إيه يضمن لنا إنه مبيكدبش؟ مش يمكن يكون مجندينه معاهم وكمان إحنا لقينا رقم تليفون المخبر في موبايل – فرغلي – ده تفسره بإيه يا باشا»

صمت «عزيز» قليلاً وهو شارد بذهنه مفكرًا في حين أكمل «أمجد»

«البوليس ممكن يوقعنا لو مخدناش با.......»

صاح الرجل بقوة مقاطعًا:

«أمجد، أنا عزيز ..... والحكومة دي كلها متقدرش على عزيز»

نظر «أمجد» للرجل المصاب بداء العظمة ولم يجد ألا أن يطيع الأمر قائلا:

«أوامرك يا باشا، العملية هتم في ميعادها»

هنا تنفس «عزيز» بعمق والشياطين ترقص فرحًا أمام وجه

●●●

علـى أنغـام موسـيقى أجنبيـة هادئـة جلسـت «نـورا» داخـل غرفـة المرسـم الخاصـة بهـا ترسـم بالفرشـاة علـى لوحـة كبيـرة أمامهـا، كانـت تحـرك الفرشـاة بنعومـة بالغـة في اتجاهـات محـددة وكأنهـا سـمكة صغيـرة وسـط ميـاه زرقـاء صافيـة تتحرك بانسـيابية ونعومـة مـع تيـار المـاء وتداخلـت الألـوان مـع بعضهـا بشـكل رائـع ومـدروس لتعطـى تصميـم أقـرب للحقيقـة في جمالهـا.

تنفسـت « نـورا» وهـي ترتشـف مـن كـوب النسـكافيه الـذى وضعتـه بجوارهـا ثـم تركـت الفرشـاة مـن يدهـا وأخـذت تحـرك رأسـها يمينًـا ويسـارًا وقامـت مـن موضعهـا وغـادرت المرسـم إلـى غرفـة المعيشـة.

جلسـت أمـام التلفـاز بعـد أن ضغطـت علـى زر التشـغيل لكـن للحظـات مـا شـردت ببصرهـا في تلـك الصـور المعلقـة علـى الحائـط أمامهـا، الصـور التـي تجمعهـا مـع زوجهـا رجـل الأمـن الـذي عشـقته حتـى النخـاع والـذي وهبـت حياتهـا وقلبهـا لـه تذكـرت لحظـات جميلـة جمعتهمـا معًـا، تذكـرت تلـك الرحلـة الرائعـة التـي جمعتهـا معـه في مدينـة شـرم الشـيخ منـذ عـام تقريبًـا، فقـد أصـر هـو أن يحتفـلا بعيـد ميلادهـا هنـاك بـين الميـاه الصافيـة والمناظـر الرائعـة الخلابـة والمنـاخ الجميـل والهـدوء الـذي يغلـف المكـان هنـاك.

فجـأة أخرجهـا ذلـك الكابـوس مـن أحـلام اليقظـة، ذلـك الكابـوس الـذي انتفضـت مـن نومهـا ليـلاً بسـببه وشـعرت معـه بانقبـاض كبيـر في قلبهـا، الكابـوس الـذي رأت مـن خلالـه زوجهـا وهـو مطـارد مـن أشـباح سـوداء لهـا عيـون حمـراء مخيفـة، حـاول «اسـماعيل» الهـروب منهـا لكنهـا لاحقتـه وفتكـت بـه.

لكنهـا لـم تكـن تعلـم بـأن هـذا الكابـوس المريـع هـو نذيـر لبحـر مـن الدمـاء سـيفتح عـن قريـب لـم تكـن تعلـم أن الأيـام القادمـة تخبـئ لهـا ولزوجهـا الكثيـر الكثيـر جـدًا.

●●●

الفصل الثاني

ست ساعات

قبل المذبحة ب٢٤ ساعة

كان مكتب الرائد «إسماعيل يسري» أشبه بخلية النحل أذ يجري العمل على قدم وساق في إطار الإستعداد للإمساك بواحدة من أكبر عمليات المخدرات التف الرجال حوله وكان أبرزهم النقيب «أحمد بدراوي» المساعد الأول له والنقيب «عادل رمزي» المساعد الثاني وهو شاب متوسط القامة له وجه دائري صغير وعينيّنِ خضرواتين وشعر قصير أسود اللون لكنه كان يختلف عن «أحمد بدراوي» في أنه شخص عصبي جدًا في عمله ولا يحتمل التكاسل من رجاله.

استمع الرجال إلى الرائد «إسماعيل» وهو يشرح كل شيء حول تلك العملية وحاول جاهدًا أن يصب كامل تركيزه في خطته رغم اختفاء رجل الشرطة الذي يشغل تفكيره.

وبدأ الرجال في مناقشته باهتمام شديد حول مكان العملية وطريقة التسليح والهجوم وتأمين المكان من كل جانب ممكن، إضافة إلى عدد سيارات الأمن المركزي التي سيستعينون بها، لقد تحدث الجميع في كل كبيرة وصغيرة تخص العملية وتم الاتفاق على كل شيء.

بعدها عاد الرائد «إسماعيل يسري» إلى منزله على أن يعود في العاشرة مساءً ليبدأ التجهيز الفعلي للعملية المنتظرة. وفي منزله جلس مع «نورا» زوجته يتناولان طعام الغداء وعيناه تختلس النظر إليها بين الحين والآخر

مشاعر كثيرة اختلطت ببعضها لتصنع تشتت ذهني كبير في عقل كل منهما أخيرًا تحرك لسان حاله فتمتم بهدوء:

«أول مرة أشوفك في الحالة دي؟!»

رفعت رأسها أليه واستعدت الكلمات في جوفها للانطلاق للتبرير للتحذير للتنبيه لكن بدلاً من ذلك زفرت بقوة وهي تجمع شتات أمرها ثم عادت لصمتها الذي لم يدم ألا لثواني قليلة أجابت بعدها بهدوء

«أنا خايفة عليك يا إسماعيل»

ارتسمت ابتسامة هادئة على وجه ونظر إلى عينيها مباشرة ثم بدأ بتبادل أطراف الحديث المنتظر «لازم تخافي عليا طبعًا مش أنا حبيبك»

أجابت بعصبية لم يتعود هو عليها:

«بجد يا إسماعيل أنا حاسة أن في حاجة حتحصل لينا، حاجة مخلياني علطول خايفة وقلقانة»

تساءل هو وقد بدئت أصابع القلق تعبث بقلبه:

«ومنين جالك الإحساس ده؟»

«مش عارفة، بس بقالي أيام على الحال ده كده مش عارفة أنام» قام من مكانه وجلس بجوارها وهو يحاول تهدئتها بقوله:

«حبيبتي الأعمار بيدي الله فلو مكتوبلي أموت في أي لحظة أثناء شغلي حموت، أنا عايزك تطمني ومتقلقيش من حاجة وإحنا بخير إن شاء الله»

نظرت له بشفقة كبيرة ثم عادت لتتناول طعامها مرة أخرى وعاد الصمت يغلف المكان.

●●●

يوم العملية الساعة الخامسة والنصف فجرًا

هناك على بعد ثلاثة كيلو مترات من طريق (إسكندرية – القاهرة) الصحراوي بدأت الخيوط الأولى لأشعة الشمس تزحف ببطء كثعبان أناكوندا يستعد للانقضاض على فريسته، ووقف «أمجد» كتمثال صخري ينظر للأرض الصخرية التي تمتد إلى مالا نهاية، مجموعة من المنازل المتهدمة والخاوية تؤكد للناظر أن قاطنيها من الأشباح فقط.

خلف «أمجد» تقف خمس سيارات سوداء من نوعية الجيب أمريكية الصنع أنتشر حولها الرجال وهم يحملون مدافع آلية متعددة الطلقات.

«السفاح» هذا هو اللقب الذي اكتسبه «أمجد» من عالم الأجرام الذي اعتاد عليه وقد اكتسبه عن خبرة، ليس لأنه يذبح ضحاياه فقط بل لأنه يستمتع برؤيتهم يعانون قبل موتهم.

مضت نصف ساعة قبل أن تظهر مصابيح ثلاث سيارات إحداها من فئة النقل بينما الأخريات من فئة (الهامر) الضخمة، توقفت السيارات على بعد أمتار منهم ونزل منها رجال في زي البدو – قاطني الصحراء – عدا أحدهم الذي كان

يرتدي سروال من الجينز وبلوفر من الصوف وفوقهم جاكيت من الجلد السميك يمتد حتى أسفل الركبة، خمري البشرة بدرجة تقترب من البشرة السمراء، له وجه نحيف ونظرات حادة متوسط القامة نحيل الجسد كان من الواضح أنه زعيمهم وهو من بدأ أطراف الحديث

«وين الفلوس؟»

أجابه «أمجد» بنفس الحزم ولهجة تشبه نظراته الحادة

«فين البضاعة؟»

رفع البدوي يمناه مشيرًا إلى رجاله الذين تحرك ثلاثة منهم نحو السيارة النقل والتي كانت تحمل أقفاص من الفاكهة ثم – وبطريقة ما – التقطوا حقيبتان سوداء من بينها مخصصة لأمتعة السفر ثم أتوا بهما ووضعوهما أمام زعيمهم أرضًا.

وفي نفس اللحظة أشار «أمجد» إلي رجال فأحضروا حقيبة كبيرة مماثلة من إحدى سيارات الجيب شروكي خاصتهم ووضعوها أمامه ثم فتح كلا منهما حقائبه لتظهر أموالاً كثيرة من فئة المائتين تفوق العشرة مليون جنيه بينما في الجهة الأخرى كمية هائلة من أكياس الكوكايين البيضاء والتي فتح «أمجد» إحداها ولعق القليل منها بطرف أصبعه قبل أن يشير

برأسه لزعيم البدو موافقة في حين ظهرت علامات الرضا على وجه البدوي عندما رأى الأموال الكثيرة من فئة المائتين موضوعة أمامه وقد بدي منظرها يريح نفسه كثيرًا هنا تحرك كل طرف لحمل حقائبه و ....

وبدأت الشرطة عملها فورًا ففي اللحظة التالية ودون سابق إنذار انطلق الرجال من كل صوب وخرج بعضهم من المنازل المتهدمة في حين صاح الرائد «إسماعيل» عاليًا «محدش يتحرك من مكانه ... كل يسلم نفسه ... المكان كله محاصر ...

كله يسلم نفسه»

هنا ارتسم الفزع على وجه الرجال جميعًا وعقد «أمجد» حاجبيه بشدة حتى قاربتا أن تلتصق ببعضهما ثم رفع سلاحه الآلي وصوبه نحو رجال الشرطة قائلاً بحزم:

«أنا مبستسلمش أبدًا»

وأطلق رصاصاته عليهم فاخترقت إحداها صدر النقيب «عادل رمزي» وثلاثة من أفراد الشرطة الذين لاقوا حتفهم فورًا. وفعل رجال البدو المثل لتبدأ معركة شرسة بين الطرفين دوت صداها في تلك المنطقة الهادئة على الطريق الصحراوي.

وسقط من البدو خمسة رجال وثلاثة من رجال «أمجد» الذي قفز سريعًا داخل إحدى السيارات وضغط مكابح الوقود فيها بقوة فأصدرت إطارتها صوتًا عاليًا نتيجة الاحتكاك الكبير على الأرض الصخرية التي تغطيها طبقة رقيقة من الرمال لينطلق بها عابرًا أرض المعركة وسط الرصاصات التي تتبعه من كل جانب.

وحاول زعيم البدو أن يفعل المثل وقفز داخل إحدى سياراته وحاول أن يقودها فارًا من الجحيم الذي انفتح عليهم فجأة لكن رصاصات الرائد «إسماعيل يسري» اخترقت جمجمته من ناحية اليمين فسقط صريعًا فوق عجلة القيادة.

وقفز الأول داخل إحدى سيارات الشرطة وانطلق بها على الأرض الصخرية التي تتخللها الرمال الصفراء قطع الصخور التي انتشرت في كل مكان لتبدأ مطاردة أخرى وسباق عنيف لكلا الطرفان.

ورغم أن الرائد «إسماعيل» رجل بارع في عمله وعلى أعلى مستويات التدريب والمهارة إلا أن «أمجد» ليس بالخصم السهل أيضًا، وانطلقت السيارتان بأقصى سرعة ممكنة وأخرج السفاح يده اليسرى مطلقًا النيران من مسدس متعدد الطلقات أصابت جسد سيارة «إسماعيل» التي كانت تسير بالقرب منه فجعلت

ضابط الشرطة يبتعد بها قليلاً ثم يقوم بإطلاق النيران بدوره إلا أن «أمجد» أطلق رصاصاته على عجلات السيارة اليمني فجعلها هذا تفقد توازنها وسط الطرقات الصخرية الوعرة رغم محاولة «إسماعيل» المستميتة للسيطرة عليها لكنها اصطدمت بإحدى الصخور متوسطة الحجم تقريبًا فارتفع جانبها الأيمن فجأة ومالت بشكل خطير قبل أن تنقلب على ظهرها بعنفٍ كبيرٍ.

ومن مكانه رأى «اسماعيل» سيارة «أمجد» تبتعد أمامه والدماء تسيل على وجه قبل أن تظلم الدنيا أمامه تمامًا.

●●●

أعلنت حالة الطوارئ القصوى داخل مستشفى الشرطة على أول طريق إسكندرية – القاهرة الصحراوي ودخلت سيارات الشرطة تتبعها سيارات الإسعاف بينما تحرك اللواء الطبيب «عامر فوزي» مدير المستشفى ومعه فريق عمل طبي كامل مجهز على أعلى مستوي لاستقبال تلك الحالات الطارئة.

وبسرعة البرق تم نقل جسدي الرائد «إسماعيل يسري» والنقيب «عادل رمزي» لعمل الإسعافات الأولية لهما، وتم إدخال الأخير لغرفة العمليات على الفور، وقام فريق التمريض سريعًا بتركيب التنفس الصناعي له وإيصال جسده بأجهزة نبض

القلب وضغط الدم وعلى الفور قام الدكتور «عامر» بشق جسد الشاب مكان الرصاصة لاستخراجها.

وفي الجهة الأخرى كانت محاولات الإنعاش ومداواة الجروح للرائد «إسماعيل» مستمرة بعدما أنجاه الله الرحيم من موت محقق، وقد تعجب الأطباء من عدم وجود كسور في جسده الذي لم يجدوا به إلا كدمات شديدة في أنحاء متفرقة فتمتم الطبيب المعالج باستغراب «سبحان الله، ربنا نجاه بأعجوبة من المعركة دي» حقا أيها الطبيب لقد أنجاه الله برحمته لكن المعركة لم تنتهِ بعد لقد بدأت الأن.

●●●

تحركت سيارات الأمن المركزي تتبعها سيارات الشرطة متجهة نحو مديرية أمن الإسكندرية وبداخلها بعض رجال البدو المتبقين مع بعض رجال «عزيز» برفقة رجال القوات الخاصة الأشداء، وبعدما وصلت السيارات لوجهتها تم إدخال المجرمين إلى زنازين تحت سطح الأرض بينما في الأعلى وقف مدير مكتب مكافحة المخدرات مع العقيد «أسامة يوسف» والمقدم «محمد مروان» والنقيب «أحمد بدراوي» مساعد الرائد «إسماعيل يسري» وبعض رجال الشرطة.

وقال الأول باهتمام كبير

«إيه الأخبار يا أحمد؟»

أجابه النقيب «أحمد» سريعًا

«الحمد للّه سعادتك العملية نجحت وقدرنا نقبض على كتير من رجال البدو ورجال «أمجد» وحنصدر قرار من النيابة العامة بالقبض على - عزيز- فورًا»

«وإيه أخبار إسماعيل دلوقتي؟»

أجابه الشاب قائلاً:

نقلناه إلى مستشفى الشرطة مع النقيب «عادل رمزي» الذي أدخلوه غرفة العمليات فورًا»

وما أن انتهي الشاب من جملته الأخيرة حتى انطلق رنين هاتفه فأخرجه ثم أجاب مستمعًا إلى محدثه، وظهرت ملامح التأثر واضحة على وجهه فأغلق هاتفه وقال بصوت هادئ حزين:

«البقاء للّه يا فندم .... النقيب عادل رمزي أستشهد»

●●●

في نفس ذلك اليوم داخل إحدى المباني الأمنية الشامخة وسط القاهرة والتي يخشى العامة مجرد النظر إليها نظرًا لأهمية ذلك الصرح الكبير ومركزه في البلاد تحرك رجل حاد الملامح يرتدي نظارة شمسية سوداء وبذلة أنيقة بنفس اللون المعتم، كان يسير بخطوات سريعة كأنه يريد منع كارثة من الحدوث، ودخل إحدى المكاتب في الطابق الثاني دون أن يطرق بابها والذي كان يجلس به رجلٌ آخر قصير القامة كان يطالع باهتمام كبير بعض الأوراق أمامه على سطح المكتب حتى انتبه للرجل الأول الذي دخل فجأة وعلى وجه علامات مريبة تنم عن شيء ما له أهمية قصوي.

خلع الرجل الثاني نظارته وقال سريعًا :

«في تطورات حصلت في إسكندرية مع (س٧)»

عقد الرجل الجالس حاجبيه متسائلاً فأكمل الآخر بسرعةٍ «مكتب مكافحة المخدرات في مديرية إسكندرية قام بعملية مداهمة الفجر وحصلت اشتباكات قوية بين الطرفين وأتقبض على كتير من رجال (س٧) ومعاهم رجال من البدو يخصوا عيلة كبيرة على الحدود مع ليبيا»

هنا قام الرجل الآخر سريعًا وهو ينتفض من مكانه كمن لدغته أفعى ثم تحرك بسرعة ليغلق باب مكتبه والتفت للرجل قائلاً بعصبية:

«وأزاي ده حصل وإحنا منعرفش؟ كده إللي أحنا بنرتبله من زمان حينهد»

زفر الرجل الآخر وهو يهز رأسه في ضيق قائلاً:

«الضربة دي جت مفاجئة لينا كلنا وكده العناصر التانية ممكن ....»

قاطعه الرجل الأول سريعًا

«مفيش ممكن، لازم نتصرف بسرعة ونوقف أي إجراءات حيعملوها وإلا حيهدوا كل اللي بنيناه ... فاهمني ... لازم نتصرف بسرعة»

أومأ الرجل الثاني برأسه وهو ينظر إليه بينما في داخل رأسه تصارعت أفكار كثيرة، أفكار بدت كأمواج بحر عاتية تستعد لشن غارة على صخور الشاطئ استعدادًا لحرب بلا رحمةٍ وبلا هوادة

●●●

«إيش تقول؟»

نطقها رجل بدوي في العقد الخامس من عمره عكست ملامحه تعبيرات حادة كالصخر وهو يقف في تلك المنطقة الصحراوية على الحدود الغربية لجمهورية مصر العربية.

كان يرتدي زي يناسب أصحاب الأماكن الصحراوية وهو رجلٌ قصير القامة نحيل الجسد له ذقن خفيفة تشترك مع شاربه في نفس اللون الأبيض، وكان واضحًا أن ملامحه تكتسي بالغضب الشديد والذي ظهر جليًا في صوته وهو يهتف عاليًا:

«ووين الرجال دا الحين؟»

استمع إلى محدثه قليلاً ثم أجاب بهدوء يسبق العاصفة «لا ... لا ... استنى شوى وحقولك تعمل إيه»

ثم أغلق هاتفه المحمول الذي كان يتحدث فيه بعصبية في حين سأله أحد الواقفين أمامه والذين يرتدون نفس الزي «خير إن شاء الله يا أبو حسان؟»

أجابه الرجل وعيناه تنظر بعيدًا جدًا «الرجالة انقبض عليهم»

عقد الرجال حاجبهم بغضب كبير وهم ينظرون إليه ثم هتف أحدهم بغضب «إيش؟ كيف هذا؟ ووين رجالة عزيز؟»

هنا لمعت عيني أبو حسان كثيرًا كأن شيئًا كان غائبًا عن عقله فأشار الرجل لهم بالصمت وهو يطلب رقم «عزيز» وانتظرَ قليلاً حتى سمع صوته وبدءا يتحدثان معًا بعصبية شديدة لكن فجأة هتف البدوي عاليًا:

«عزيز ... اللي بتقوله هذا كلام خطير ... أنا أبو حسان يا عزي ... ألو... عزيز ... عزيز»

نظر الرجال لوجه الرجل الذي صار كقطعة من الجمر وتساءل أحدهم «أيش يا شيخنا؟»

هنا أجاب الرجل بصوت يأتي من بئر سحيق «إحنا رجالتنا وبضاعتنا راحوا ... وإحنا حقنا ما يضيع أبدًا و- عزيز – مش لازم يطلع عليه صبح ... فاهمين يا رجال، مش حيطلع عليه صبح»

هتف الرجال ببعض الكلمات فيها شراسة كبيرة تأييدًا لكلامه بينما عيني الرجل أصبحتا كلون الدم.

●●●

فتح عينيه ليجد نفسه داخل المستشفي، صوت بكاء «نورا» أفاقه أكثر فتنهد ببطء كبير:

«أنا فين؟»

هنا انتبه الحاضرين وصاحت زوجته وهي تحتضنه:

«إسماعيل ... الحمد للّه ... أنت بخير ... أتكلم يا حبيبي»

أمسكت بها والدتها وهي تحاول تهدئتها في حين وقف بعض الأقارب من ذويهم يهنئونه على سلامته، وفي تلك اللحظة دخل الطبيب المعالج فأفسح الجميع المجال إليه فاقترب منه قائلاً بهدوء وابتسامة على وجه «حمد اللّه على سلامتك يا سيادة الرائد»

بصوت ضعيف أجابه:

«اللّه يسلمك يا دكتور»

بدء بقياس ضغط الدم ثم أخرج جهاز صغير يشبه الكشاف وقربه من وجه ليري قرنية العين ثم ألقى نظرة سريعة على معدلات الأجهزة التي يتصل بها جسده قبل أن ينظر للتقرير الطبي المعلق على فراشه قال بعدها مطمئنًا إياه والجميع:

«الحمد للّه مفيش ارتجاج في المخ ونتيجة الفحوصات والأشعة سليمة الموضوع كله شوية جروح وكدمات بسيطة وحتروح مع الوقت والعلاج إن شاء اللّه»

شكره «إسماعيل» بإماءة من رأسه في حين قالت «نورا» ودموعها تسير على وجهها «ربنا يطمنك يا دكتور، متشكرة جداً»

غادر الطبيب الغرفة في حين جلست «نورا» بجانبه ودموعها الدافئة تسير على وجنتيها واحتضنت يده فحاول رسم ابتسامة باهتة على وجه وهو يقول مهدئًا إياها:

«متخفيش يا حبيبتي أنا كويس»

تنفست بعمق وتركت نفسها معه غير مبالية بالواقفين من ذويهم كما ظنت أن مخاوفها قد انتهت الآن لكنها كانت مخطئة تمامًا، فما رأته في منامها لم يبدَأ بعد بل لقد بدء للتو

غادر الجميع بعد الاطمئنان عليه وبقت زوجته بجانبه وهي تحاول جاهدة الإمساك بدموعها الحبيسة. بعدها خرجت تسأل الطبيب عن ميعاد خروجه فطمئنها قائلاً:

«المفروض أنه يقعد معانا شوية لكن لو حيلاقي راحة في البيت تخلي جروحه وكدمات جسمه تخف بسرعة ممكن أخرجه بكره إن شاء اللّه»

شكرته «نورا» مرة أخري وعادت لزوجها، لكن ما لم يكن يعلمه الطبيب أو حتى «نورا» نفسها أن الغد كان يحمل الكثير لزوجها ولها الكثير جداً

●●●

«مستحيل»

صرخ بها «عزيز» في وجه «أمجد» الذي جلس أمامه يضمد أحد الرجال جراحه بعدما أصابت إحدى الرصاصات ذراعه الأيمن أثناء اشتباكه في المعركة مع رجال الشرطة بينما واصل «عزيز» صراخه الغاضب قائلاً:

«يعنى البضاعة والفلوس ضاعوا ؟ ..... لأ مش «عزيز» إلى يتعمل معاه كده أنا «عزيز» يا أمجد .... عزيز»

حاول الشاب الدفاع عن نفسه بهدوء أمام ذلك المجنون المصاب بداء العظمة والذي يظن أن الكون كله ملكه وتناسى أي صور له في مرضه إنه مخلوق ضعيف لله سبحانه وتعالي فقال له بعصبية:

«ما أنا حذرتك يا باشا وقولتلك الحكومة بتراقبنا»

صرخ الرجل مرة أخري عاليًا:

«تغور الحكومة في داهية أنا عايز بضاعتي وفلوسي، الحكومة اللي بتتكلم عنها دي بتشتغل عندي أنا واللي زيي، عارف يعني إيه بتشتغل عندي؟ إحنا اللي حاكمين البلد دي بفلوسنا ونفوذنا يا أمجد مش واحد ممسكينه رئيس جمهورية، أحنا اللي حكمينها يا أمجد»

صمت لثواني معدودة ثم نظر «لأمجد» قائلاً بصوت يشبه فحيح الأفعى بينما وجه جحيم مستعر تتراقص عليه الشياطين طربًا وفرحًا:

«أمجد، ساعة واحدة وتكون جايبلي كل المعلومات عن الضابط المسئول عن العملية دى، كل حاجة من ساعة ماتولد لحد اللحظة دى، مفهوم؟»

تنفس الشاب بعمق مومئًا برأسه ثم قام بعدما تم تضميد جراحة ليبدأ ما أمر به.

●●●

داخل إحدى الفيلات الكبيرة في حي «التجمع الخامس» بالقاهرة جلس رجل في أوائل الخمسينات بهي الطلعة يرتدي ثياب فاخرة تدل على ثرائه الفاحش، كان يجلس على كرسي مكتب وثير وهو يرفع قدمه فوق الأخرى ويريح ظهره للخلف قليلاً في راحة تامة بينما كان يتحدث في الهاتف قائلاً:

«مساء الخير يا باشا، في خبر مش كويس خالص، الشرطة قبضت على رجالة «عزيز» وهما بيستلموا البضاعة من رجالة أبو حسان النهاردة في إسكندرية»

صمت ليستمع لمحدثه الذي ظهر في صوته الذهول وعدم التصديق ثم أكمل مجيبًا:

«لا يا باشا مش كلهم الراجل بتاعي أكدلي أن «أمجد» دراع «عزيز» هرب من المعركة ومعرفوش يمسكوه و«عزيز» لسه في بيته متحركش»

عاد يستمع لمحدثه ثم أكد حديثه وهو يتمتم بهدوء «طبعا يا باشا دي مسألة وقت، اللي جاي ممكن يكون خطر علينا كلنا»

صمت مرة أخرى ليستمع لتلك الكلمات الآمرة الحازمة ثم قال بهدوء «تمام يا باشا ... اللي تؤمر بيه حيتنفذ»

ثم أغلق الهاتف ووضعه على مكتبه ثم أرجع رأسه للخلف وعيناه تنظر لسقف الغرفة بينما ارتسم شبح ابتسامة على وجه وهو تنهد قائلاً لنفسه «مات الشاه يا عزيز»

●●●

في صباح اليوم التالي ذهبت «نورا» إلى المنزل لجلب بعض الملابس لزوجها وفى المستشفى رن الهاتف المحمول فأمسك «إسماعيل» به مجيبا إنه النقيب «أحمد بدراوي» يطمئن عليه وقبلها كان يحدثه أحد القيادات العليا للاطمئنان على صحته.

أنهـى المكالمـة وشـرد بذهنـه قليـلاً في عملـه، إن العمليـة لـم تنتـهِ بعد فمازال «عزيـز» لـم يقبـض عليـه كمـا أن «أمجـد» الـذراع الأيمـن «لعزيـز» طليقًـا، لابـد أن يعـود لعملـه في أسـرع وقـت لينـهِ مـا بـدأه منـذ شـهور مضـت.

فجـأة أخرجـه صـوت هاتفـه مـن شـروده فنظـر للشاشـة ليجـد رقمًـا غريبـا فقـام بالـرد عليـه «ألـو»

جـاءه صـوت غليـظ مـن الجهـة الأخـرى مجيبًـا «اسـمعني كويس يا سيادة الرائد قدامك لحد السـاعة ٦ مسـاء لـو البضاعة والفلـوس اللـي أنـت صادرتهـا مجتـش هتنـدم نـدم عمـرك كلـه»

عقـد «إسـماعيل» حاجبيـه بعنـف حتـى كادتـا يلتصقـان ببعضهمـا وهتـف متسـائلاً

«مين اللي بيتكلم؟»

أجابـه ذلـك الصـوت مـرة أخـرى «ده مـش وقـت أسـئلة أنـت تنفـذ اللـي قولتـك عليـه وعمومًـا هديـك حافـز يخليـك تشـتغل بسـرعة»

ثـم اختفـى صـوت الرجـل وجـاءه صـوت آخـر، صـوت مميـز جـدا لديـه، آخـر صـوت يمكـن أن يتوقعـه..... صـوت نـورا .... زوجتـه هنـا انتفـض «إسـماعيل» مـن مكانـه وصـرخ مفزوعًـا

«نورا ...... نورا ...... ألو؟»

لكن صوت زوجته اختفى وعاد صوت الرجل يقول:

«مش عايز أفكرك يا سيادة الرائد لو حد من رجالتك شم خبر هبعتلك رأس مراتك تذكار في صندوق صغير. قدامك لحد الساعة ٦ علشان تنفذ اللي طلبته منك»

ثم أغلق الهاتف في وجه تاركًا إياه في حالة غضب شديد جعله يقفز من فراشه ويرتدي ما يتوفر لديه من ثيابه ثم أمسك هاتفه وقام بالاتصال على رقم زوجته لكن أجابه ذلك الصوت الآلي الرتيب والذي يخبره بإغلاق الهاتف.

خرج من غرفته سريعًا بعدما وضع مسدسه الميري في الجراب المخصص داخل ثيابه بينما كانت هذه المكالمة دافع كبير ليسترد نصف عافيته على الأقل، وأثناء مغادرته غرفته رأى الطبيب المعالج في وجهه والذي سأله في استغراب:

«على فين يا سيادة الرائد؟»

لكن «إسماعيل» لم يجيبه بل واصل ركضه للخارج حتى نزل لبوابة المستشفى وقطع المسافة المتبقية حتى البوابة الرئيسية ركضا مما جعل رجال الشرطة الذين يقفون على حراسة البوابة يقفون في ذعر وأحدهم يهتف «خير يا باشا، إيه اللي حصل؟»

لكن «اسماعيل» لم يجيبه أيضًا بل يري شيئًا امامه وقد شل عقله عن العمل فها هو يحصد نتيجة محاربته للخاربين والخارجين عن القانون.

وقف على الشارع الرئيسي في منطقة «داون تاون» وأشار لأول سيارة أجرة يراها وقبل أن يسأل السائق عن وجهته قال له «اسماعيل» بحزم وبلهجة لا تقبل النقاش «أطلع على سموحة ... بسرعة يالا»

وأسرع السائق لتنفيذ الأمر بينما عقل الرائد «اسماعيل يسري» يعمل كماكينات المصانع بكل طاقته وقلبه بدأ في الخفقان

ماذا ستفعل يا إسماعيل؟

ماذا ستفعل؟

●●●

الله أكبر الله أكبر .... الله أكبر الله أكبر

انطلق أذان الظهر في الشوارع والميادين المصرية فنظر «اسماعيل» إلى ساعته ليجدها الثانية عشر ظهرًا وخمس دقائق فتحسس سلاحه الميري «مسدس٩ملي» وهو يجلس داخل السيارة الأجرة التي استقلها من أمام مستشفى الشرطة بوسط المدينة إلى منطقة سموحة حيث يقطن هو.

ترجل منها مسرعًا بعدما أعطى للسائق حسابه وتحرك بخفة ليدخل البناية التي يقطن بها بشارع «ألبرت الأول» ووقف حارس العقار ليحييه لكنه لم يعيره اهتماما وقفز بداخل الأسانسير صاعدا للطابق الخامس حيث منزله دس المفاتيح في الفتحة الصغيرة ودلف للداخل باحثًا عن زوجته، قابلته صالة المنزل أولاً فرأى أثاثها متبعثر فهويَ قلبه بين ضلوعه أكثر، بعدها انتقل إلى غرفة الطعام لكن كل شيء مكانه ولا يوجد أحد ثم إلى غرفة النوم لكن الأثاث في مكانه ولا أحد فيها، حاول الاتصال بزوجته مرة أخري لكن لا أحد يجيب فحاول الاتصال بوالدته فإذا به يسمع صوت هاتفها بالقرب منه، التفت حوله ليجد الهاتف ملقي بجوار الأريكة الكبيرة والتي قلبت على وجهها بفعل فاعل، ووجد بجواره أيضًا هاتف أخته الصغيرة.

انعقد حاجبيه في صرامة وذاد خفقان قلبه بينما تساءل عقله في خوف أين الجميع؟

أين والدته وأخته وحماته؟

حسه الأمني يخبره بشيء ما، شيء مريب ومخيف لا يريد أن يعلمه أو حتى يسمعه من أحد. بعدها فكر قليلاً وعندما هم بمغادرة المنزل تناهى إلى مسامعه صوت يأتي من دورة المياه

فتحرك ببطء نحوها وهو يشعر بجسده يرتجف والدماء فيه تفور كبركان ثائراقترب من باب دورة المياه وهنا لمحت عيناه الكثير من المياه التي تخرج وتزحف أرضًا وقد بللت فراش الأرض فدورة المياه في المنزل تدخل إليها عبر طرقة صغيرة من صالة المنزل.

ارتجف قلبه عندما رأى المياه مختلطة باللون الأحمر فتقدم بخطوات ثقيلة كالحجر ودخل دورة المياه و.......

وهوى قلبه بين ضلوعه

شهق «إسماعيل» دون إرادته وشعر بأن الزمن قد توقف في تلك اللحظة بالذات بينما اتسعت عيناه عن آخرها وتراجع جسده للخلف وهو يرتجف كثيرًا كمن يجلس وسط الثلوج فأمامه مباشرة وفى داخل البانيو الكبير وضعت ثلاثة جثث بجوار بعضها وقد ذبحت بوحشية من الوريد الي الوريد بينما سالت دمائها على أجسادها وقد أغرقت المكان بأكمله مختلطة بالمياه التي فتحت بشكل قليل عليهم.

إنها جثة والدته ووالدة زوجته و«سامية» أخته الصغيرة الطالبة في كلية الهندسة جامعة الإسكندرية واللاتي كن يجلسن في المنزل لحين عودته من المستشفى.

سقط مكانه من هول ما رأى وتشنجت عضلات وجهه كمن أصيب بحالة الصرع الشديد، ثواني قليلة تحجرت عيناه على ذلك المشهد المريع المفزع أمامه ثم تجمع كل غضب الدنيا في صرخة مدوية « لأ.....لأااااااا»

بعدها مباشرة ومن فرط الانفعال تجمع سائل أصفر في معدته أفرغه فوراً وسعل بشدة وهو يشيح بوجهه بعيداً، مر وقت طويل قام بعده مغادراً دورة المياه وهو يتكئ على الحائط حوله ليلقى جسده على أقرب مقعد يقابله بعدما فشلت قدميه في احتماله، وشعر بحرارة كبيرة تسري في جسده خاصة وجهه الذي ذاد ضغط الدم فيه وعيناه التي انتفخت بشكل غير عادى ثم بدأ في البكاء، بكاء شديد انهارت معه كل المشاعر المختلطة ببعضها والتي تاه هو بينها كطفل صغير.

مضت نصف ساعة على حالته بين بكاء ونحيب وبين التصلب والتجمد كتمثال صخري تائه لا يعرف ماذا يفعل؟ وماذا يستطيع أن يفعل في حالته تلك؟ احمرت عيناه ككرات الدم في الجسد وشردت كثيراً ومشهد تلك الجثث لم يفارقه بعد والدته الحنون التي ربته بعد وفاة والده وأخته الصغيرة التي كان ينتظرها مستقبل كبير كمهندسة طموحة إضافة إلى والدة زوجته والتي كان يعتبرها بمثابة أم له.

ماذا يفعل الآن؟

هل يتصل بإدارته لتحضر فرقة من الشرطة والإسعاف ليجد من ينجده في ذلك الموقف العصيب؟

أم ينتظر ويتعامل مع هذا الموقف الدموي بمفرده خشية على «نورا» زوجته من أن تلقى نفس المصير البشع؟

لحظات ألم مرت عليه لم يستطيع فيها التفكير فهذا المشهد هو أصعب مشهد يمكن أن يمر على إنسان في حياته.

مر الكثير من الوقت بعدها وهو جالس في مكانه لا يتحرك وقد جفت دموعه بعد بكاء هستيري شديد. وفي داخله بدأ الشعور بالانتقام يتولد رويدا رويدا كطفل رضيع يأتي إلى عالم جديد غير ذلك العالم الصغير الذي كان حبيسه.

شعور خطير سيطر على عقله منعه من التفكير بحكمة فأصبح كمعتادي الإجرام الذين يلاحقهم في مهنته، لقد تخلى الآن عن دور الضحية وعليه أن يصبح هو «الصياد»

أفاقته دقات ساعة الحائط من شروده لتعلن له عن الواحدة ظهرًا أي لم يتبقَ أمامه سوى خمس ساعات فقط لينقذ زوجته الحبيبة.

أخيـرًا اتخـذ قـراره ... سـوف يعمـل بمفـرده ... دون تدخـل القـوات معـه فهـؤلاء المجرمـين لـن يتورعـوا في أن يذبحـوا زوجتـه «نـورا» أيضًـا إذا شـعروا بتدخـل قـوات الشـرطة فهـم بالتأكيـد يراقبونـه عـن كسـب ويراقبـون كل حركـة يقـوم بهـا وكل خطـوه يخطوهـا، أنهـم يريـدون بضاعتهـم وأموالهـم ليـردوا لـه زوجتـه وهـذا مـن رابـع المسـتحيلات أن يفعلـه فهـو رجـل شـرطة، هـو مـن يمثـل الأمـن في البـلاد، هـو مـن يجـب أن يخشـونه.

قـام مـن مجلسـه ببطء وقـد تسـبب شـعور الانتقـام لديـه في إطـلاق مـادة الأدرينالـين في الـدم ثـم قبـض علـى يـده بقـوة قائـلاً بحـزم حمـل معـه كل غضـب الدنيـا:

«أنهار الدم اللي فتحتوها هتغرقوا فيها كلكم»

قالهـا كشيطان مـارد حضـر لتوه للانتقـام وتحـرك بعدهـا إلـى دورة الميـاه وألقـى نظـرة أخيـرة علـى جثـث النسـاء المذبوحـة بوجـه مـن صخـر وعينـان متجمدتـان ثـم أغلـق صنبـور الميـاه وغـادر المنـزل بعدمـا أغلـق البـاب خلفـه لتبـدأ أخطـر مهمـة يقـوم بهـا في حياتـه.

●●●

الساعة العاشرة صباحا في ذلك اليوم «قبل المذبحة»

خرجت «نورا» من مستشفى الشرطة بوسط المدينة في الإسكندرية متجهة إلى منزلها في منطقة سموحة. دخلت إلى العقار لتصعد إلى شقتها في الطابق الخامس لكنها لم تلاحظ تلك العيون التي تتابعها بشغف كبير

أنها عيون «أمجد» وسبعة من الرجال معه يجلسون داخل سيارتين من نوعية الجيب، وما أن رآها حتى تحرك مع رجاله ودخل العقار خلفها متحدثًا إلى حارس العقار قليلاً ثم صعد للطابق الخامس.

ضغط زر الجرس وانتظرَ ثواني فتحت بعدها «سامية» الباب وهي فتاة في العشرين من عمرها متوسطة القوام بيضاء البشرة لها عينين صغيرتين سوداء ذو ملامح جميلة هادئة

سألها السفاح «أمجد» بهدوء يسبق العاصفة

«مش ده منزل الرائد إسماعيل يسري؟»

أجابت الفتاه مبتسمة «أيوه يا فندم مين حضرتك؟»

أجابها وهو يدلف للداخل دافعًا إياها «أصدقاء»

دخلوا جميعًا وأغلق أحدهم الباب بعنف ففزعت الفتاه الصغيرة وهي تتراجع أمامهم متسائلة في خوف:

«إيه ده؟ أنتوا مين؟»

أمسكها فجأة من رأسها وجذبها نحوه في عنف فصرخت «سامية» بينما ظهرت حدته في صوته وهو يجيب:

«قولتلك أصدقاء يا حلوة، أندهي مراته بسرعة»

في تلك اللحظة خرجت «نورا» من المطبخ بينما خرجت والدتها وحماتها من غرفة المعيشة وتساءلت الأولي في خوف «في إيه؟ أنتوا مين؟»

أجاب السفاح وهو يشهر سلاحهه – وكذلك فعل رجاله – في وجهها «لا مفيش حاجة، إحنا بس عايزين نبعت رسالة لجوزك» تساءلت «نورا» في رعب وهي تقف بجوار حماتها ووالدتها «رسالة؟! .... رسالة إيه؟»

هنا كشر الوحش عن أنيابه وهو يتجه نحوها بعدما دفع الفتاة الصغيرة إلى رجاله ثم أمسك بزوجة «إسماعيل» بعنف فصرخت وهي تتألم في حين أمسك رجاله بالنساء الثلاثة الأخريات.

صفعها «أمجد» على وجهها بقوة لتسقط أرضًا، وفزعت النساء وهن يصرخن عاليًا لكنه التفت لهن صارخًا بحدة مخيفة

«اخرسوا»

ومن شدة الخوف كتمت النساء صرخاتهن في حين أوقف «أمجد» زوجة الرائد بقوة ثم هوي بقبضته على وجهها لتسقط على الأرض مغشيًّا عليها، وفي نفس اللحظة أخرج أحد رجاله شريطًا لاصقًا قطع منه قطع صغيرة وضعها على فم النساء الثلاثة ليمنع صراخهن الأليم.

وكعادة ذلك الشيطان الذي لا يعرف الرحمة بدأ بتنفيذ جريمته البشعة و....

وبدأت المذبحة

حاول جذب والدة «إسماعيل» للداخل لكنها قاومته لتسقط على الأريكة الكبيرة في صالة المنزل وتشبثت بها فجذبها بعنف لتسقط أرضًا وسقطت الأريكة معها. أغضبه هذا كثيرًا فجذبها من ذراعها بقوة وعنف لتصدر عنه قرقعة مكتومة فصرخت المرأة المسنة من الألم لكن ضاع صوتها تحت قطعة الشريط اللاصق ولم يرحمها «أمجد» فظل يجذبها أرضًا من نفس الذراع والسيدة المسنة تتألم بقوة وتصرخ لكن لا مجيب

هنا وسط تلك الوحوش الآدمية، ثم أدخلها السفاح دورة المياه وانحني بجسده ورفعها بقوة ليلقي بها داخل بانيو الاستحمام ليصطدم رأس المرأة المسكينة بعنف على السيراميك الذي يغطي البانيو ودورة المياه بأكملها مما جعلها تشعر بدوار عنيف يكتنفها وتنتهي آخر مقاومة لها وقد سال دمها من جرح صغير في رأسها.

تركها وذهب إلى المطبخ قليلاً ثم عاد بعدما أحضر سكينًا كبيرًا يستخدم لتقطيع اللحم، وعندما مر به أمام النساء فزعتا واتسعت عيناهما وسقطت القلوب من مكانها.

دخل السفاح إلى دورة المياه ووقف أمام والدة «إسماعيل» التي ما أن رأت السكين حتى نظرت له بهلع ثم رفعت عيناها إلى «أمجد» تستغيثه لعل قلبه يلين لكن هيهات .... إنه السفاح الدموي وبدم بارد وقلب خلى من مشاعر البشر ذبح السفاح المرأة المسنة.

ذبحها من الوريد إلى الوريد وسالت دماؤها الطاهرة داخل البانيو بينما ظل جسدها ينتفض بعنف وعيناها غائرة بينما أسنانها تجز على بعضها بشكل لا إرادي حتا انتهى الوحش من مهمته وهدأ جسدها نهائيًّا.

لقد أنهى السفاح أولي جولاته وتبقت اثنتان في مشهد الذبح العظيم.

●●●

«بعد المذبحة»

وقف النقيب «أحمد بدراوي» على محطة ترام سيدي جابر ينظر في ساعته ثم أخذت عيناه تنظر يمينًا ويسارًا، كان ينتظر شخصًا ما أو يبحث عنه حتى رآه قادمًا فابتسم وهو يتقدم نحوه سريعًاجاء الرائد «إسماعيل يسرى» فقال «أحمد» بود كبير «حمد اللّه على سلامتك يا باشا هو سعادت.........»

«جبت اللي طلبته منك؟»

قاطعه «إسماعيل» في اقتضاب وملامح وجهه كالصخر فنظر «أحمد» إليه لثواني قليلة ثم أجاب بهدوء وهو يناوله مظروفًا كبيرًا يحتوي على بعض المستندات:

«أيوه يا فندم ذي ما سعادتك طلبت» أخذ «إسماعيل» المظروف وقال بلهجته المقتضبة

«زى ما قلتلك مش عايز حد يعرف أي حاجة لحد ما أتصل بيك، ولو ما اتصلتش بيك لحد الساعة ٦ تقدر تعمل

إلـى أنـت عايـزة» ثـم تركـه دون أن يتفـوه بـأي كلمـة أخـرى بينمـا عينـي النقيـب «أحمـد بـدران «تتابعنـه وهـو يبتعـد عنـه حتـى اختفـى تمامًـا.

●●●

كانـت مقابلـة «أحمـد بـدراوي» خطيـرة جدًا خاصـة في ظـل تلـك الظـروف لكنـه كرجـل أمـن تأكـد تمامًـا أنـه لا يوجـد مـن يتبعـه، لقـد طلـب «إسـماعيل» صـورة مـن أوراق التحريـات حتـى يسـتطيع مراجعتهـا ومعرفـة أماكـن تواجـد رجـال «عزيـز» والبـؤر التـي يتمركـزون فيهـا لكـي يعـرف مـن أيـن يبـدأ مهمتـه الصعبـة والمسـتحيلة؟ إن خيـر وسـيلة للدفـاع هـي الهجـوم، هـي مواجهـة الخصـم مـن حيـث لا يـدري لذلـك لابـد مـن البحـث عـن أهـم الشـخصيات التـي يسـتعين بهـا «أمجـد» أو البحـث عـن «أمجـد» نفسـه، إذا وجـد «أمجـد» فبالتأكيـد سـيجد زوجتـه.

دس الأوراق بعـد مطالعتهـا ثـم اسـتقل سـيارة أجـرة إلـى منطقـة «رشـدي» حيـث يقطـن «عليّ الشـربيني» أحـد أهـم الرجـال عنـد «أمجـد» فهـذا الأخيـر يعتمـد عليـه الثانـي اعتمـادًا كليًّـا في اتمـام المهـام الخطـرة لذلـك كان وقـت تنفيـذ العمليـة يقـوم هـو الآخـر بتنفيـذ عمليـة سـلاح أخـري في إحـدى محافظـات صعيـد مصـر وعـاد بعدهـا في نفـس اليـوم.

وقف «إسماعيل يسرى» بجوار إحدى الكافيهات في شارع «سوريا» يراقب الجهة الأخرى على بعد ثلاث منازل ومرت خمسة عشر دقيقة وعيناه كالصقر تراقبان بتحفز العقار الذى يقطن به «الشربيني» لكن هذا بالطبع لن يجدي في هذا الوقت العصيب فكل دقيقة تمر لها ثمنها في حياة زوجته الحبيبة لذلك تحرك «إسماعيل» ودخل إلى العقار وصعد إلى الطابق الثالث بعدما سأل الحارس عن منزل «الشربيني» ثم ضغط زر الجرس وانتظر مرت ثواني دون أن يحدث شيء بعدها انفتح الباب لتظهر فتاة قصيرة أجنبية الملامح إنها إحدى الفلبنيات التي تعمل في البلاد، فهي خادمة المنزل سألها «إسماعيل» في حزم:

«فين على الشربيني؟»

أجابت الفتاة بلغة عربية ركيكة «مش موجود ... مين حضرتك؟»

دخل «إسماعيل» بعد أن دفعها للداخل وأغلق الباب بينما فزعت الفتاة وارتسمت على وجهها ملامح الخوف والقلق لكنه تركها ودخل سريعًا يفتش المنزل بأكمله وبعد قليل عاد ولم يجد أحدًا، وقف في صالة المنزل وأمسك بذراع الفتاه يجذبها نحوه وانعقد حاجباه حتى قاربا أن يلتصقا ببعضهما وهو يقول لها آمرًا بغلظة:

«هتنفذى إلى حقولك عليه مفهوم؟»

أشـارت الفتـاه المرعوبـة برأسـها سـريعًا موافقـة في حـين نظـر هـو لسـاعته ليجدهـا الثانيـة والنصـف ظهـرًا وهـذا معنـاه أنـه قـد تبقـى أقـل مـن أربـع سـاعات فقـط علـى حيـاة زوجتـه.

●●●

الفصل الثالث

سباق الموت

انكمشت «نورا» في مكانها بعدما ربطت يدها وقدميها وكمم فمها ليمنعها من الصراخ وسالت دموعها الدافئة كمياه المطر على وجنتيها وهي تجلس على تلك الأرضية المسطحة في هذا المكان الكبير المظلم عدا ضوء صغير ينبعث من مصابيح صغيرة معلقة في سقف المكان.

انتحبت الفتاه من شدة بكائها حتى بدأت تهدأ بعد وقت قليل وبدأ عقلها يتساءل في خوف ورعب

أين هي الآن؟

ومن هؤلاء الذين اختطفوها؟

وماذا يريدون منها؟

وماذا فعلوا مع والدتها وحماتها و «سامية» الصغيرة؟

لقد أفاقت لتجد نفسها في ذلك المكان الموحش لا تعلم في أي مكان هي؟

كان المكان أشبه بملعب كرة السلة في مساحتها لكن أرضيته تشبه أرضية المصانع المثقلة المستوية لا يوجد به سوى بعض إطارات السيارات القديمة والأتربة التي تملأ أرضيته.

نظـرت إلـى تلـك النافـذة التـي تقبـع فوقهـا بمسـافة تقـدر حوالـي ثلاثـة أمتـار تقريبًـا وهـي واحـدة مـن عـدة نوافـذ تحتـل الجـزء العلـوي مـن الجـدران فقـد صنعـت للتهويـة بالتأكيـد.

كانـت «نـورا» تناجـي ربهـا أن ينجيهـا مـن أيـدي هـؤلاء البشـر عديمـي الرحمـة حتـى تسـتطيع العـودة لزوجهـا فقـد تأكـدت مخاوفهـا الآن والتـي رأتهـا في كابوسـها المريـع والتـي شـاهدت فيـه «إسـماعيل» وهـو ينـزف دمـا بينمـا يقـف أشـباح غيـر واضحـة الملامـح وهـم يتناوبـون عليـه بالضـرب المبـرح لكنـه كان واضحًـا أنـه فـارق الحيـاة لذلـك قامـت «نـورا» في تلـك الليلـة مفزوعـة مـن نومهـا.

وبينمـا هـي تراجـع ذكرياتهـا وفـى مـكان آخـر مشـابه لذلـك المـكان التـي تمكـث فيـه الآن يـوازي ذلـك المـكان المخيـف بعـدة أمتـار حيـث يفصـل بينهمـا جـدار كبيـر وقـف «أمجـد» يتحـدث في الهاتـف بينمـا التـف رجالـه المتبقـون حولـه حتـى أنهـى المكالمـة فالتفـت إلـى «علـي الشـربيني» قائـلاً:

«حسـن بيقـول أنـه كان بيراقـب الظابـط عنـد بيتـه ولمـا لقـاه نـازل مشـى وراه لكنـه اختفـى مـن قدامـه لمـا دخـل في شـوارع منطقـة كليوباتـرا»

قال «الشربيني» بصوته الأجش «كده يبقى هو مبلغش ياريس» تمتم أمجد متسائلاً

«وإيه أدراك يمكن بلغ بالتليفون من البيت؟»

أجابه «الشربيني»

«أكيد هيقابلهم وكمان إزاي هيتصل بيهم وبالإسعاف ويسيب الشقة ويمشي؟»

رغم شكوك «أمجد» إلا إنه اقتنع - مبدئيًّا - بكلام «الشربيني» الذي انطلق صوت هاتفه المحمول فأخرجه من جيب سرواله وقام بالرد عليه ليلاحظ «أمجد» تغير ملامح وجهه فانتظر حتى أنهى مكالمته ليسأله:

«في إيه؟»

أجابه الرجل بضيق «البنت الغبية اللي في البيت وقعت ودراعها انكسر ومش عارفة تعمل إيه؟»

تساءل السفاح بعصبية أذ لم يكن هذا وقت مناسب لمثل تلك الأمور «وفين مراتك؟»

«سافرت بالعيال عند حماتي»

زفر «أمجد» بحنق ثم قال أخيرًا في استسلام «خد معاك اتنين من الرجالة»

«لأ يا ريس خلي الرجالة معاك وأنا هخلص وأرجع تاني بسرعة»

ثم تحرك مغادرًا المكان متجهًا إلى منزله

●●●

دقت عقارب الساعة لتعلن الثالثة عصرًا فنظر «أحمد بدراوي» إلى ساعته ورفع رأسه لينظر عبر نافذة مكتبه إلى السماء الملبدة بالغيوم والتي تلونت بألوان السحاب القاتم فبدت السماء معها كساحة حرب شعواء ستشهد دخول جيش كبير لملاقاة أعتى الوحوش الشرسة، ولقد اختبأت الشمس خلف تلك السفن المحملة بالمياه والتي ستنطلق كالرصاصات النارية لتبلل أجساد البشر وقت أن يشاء اللّٰه العلي القدير.

وبينما عيناه تتابع هذا المشهد الإلهي البديع عبث عقل النقيب الشاب فيما يحدث ولقائه مع الرائد «إسماعيل يسرى» الذي خرج فجأة من المستشفى وطلب منه تصوير أوراق القضية كلها خاصة تقارير المراقبة والتي بها أسماء وعناوين رجال «عزيز» وأماكن نقل البضائع الخاصة بشركته والبؤر التي يتمركزون بها.

لماذا أراد تلك الأوراق فجأة؟

ولماذا لم يحضر إلى مكتبه؟

وما قصة الساعة السادسة التي أخبره بها؟

ماذا سيحدث بعدها؟

إن حسه الأمني يخبره بأن هناك أمرًا ما، أمر خطير جدًا يخفيه سيادة الرائد، لكنه حتى الآن لا يملك إلا أن يستمع إلى ما قاله وينفذه. زفر بقوة وشعر أن عقله أصبح مشتتًا ومما زاد حيرته أن الرائد «إسماعيل يسري» يطلعه على كل كبيرة وصغيرة في عملهما فلماذا يخفي شيئًا عنه هذه المرة؟

فى تلك اللحظة أتته فكرة ما، فكرة إذا نفذها يمكن أن توضح له بعض النقاط على الأقل لذلك قام من مكانه وارتدى سترته مغادرًا مكتبه على عجالة.

●●●

كان «عزيز» ينفث دخان سيجاره الكوبي الفاخر والذي يأتيه خصيصًا من إحدى دول أمريكا اللاتينية بينما كان شارد الذهن أثناء جلوسه على مقعد وثير في حديقة فيلته، فجأة شعر بأنامل رقيقة تعبث بخصلات شعره الجانبية فأفاق من شروده ونظر ليمينه ليطالعه وجه «شريهان» ابنته الوحيدة فابتسم لها – أو هكذا حاول على الأقل – وتمتم بهدوء:

«شيري، حبيبتي عاملة إيه؟»

أجابتـه الفتـاة بصوتهـا النـاعـم الرقيـق والـذي يشـبه صـوت تدفـق الميـاه العذبـة:

«الحمد للّه يا بابي بس أنا زعلانة منك»

«ليه يا حبيبة بابي؟»

«علشان مسألتش عليا النهاردة»

«معلش يا حبيبتي أنا مشغول جدًا النهاردة»

نظـرت الفتـاة إلـى السـماء بـدلال وهـي تـزوم كالأطفـال ثـم عـادت تقـول:

«وكمان في حاجة تانية»

«إيه هـي؟»

«فين العربية الجديدة إللي وعدتني بيها يا سي بابي؟»

تنهد بثقل كبير مجيبًا إياها:

«حاضـر يـا سـتي هخلـي - أمجـد - ينـزل معاكـي بكـرة وتنقـي أي عربيـة إنتـى عايزاهـا»

صفقـت الفتـاة بيدهـا في فـرح طفولـي ثـم طبعـت قبلـة صغيـرة علـى وجهـه قائلـة:

«أنت أحلى بابي في الدنيا»

وتركته ليعود إلى شروده مرة أخرى ويسبح عقله في أهم عملية يخوضها في حياته، كانت بمثابة «اختبار مميت» بالنسبة له فهو لا يعلم هل سيأتي عليه الغد أم لا؟

فبعد أن تم القبض على الكثير من رجاله بالتأكيد سيعترفون بعد استجوابهم بطرق ما وسينتظر هو دخول الشرطة في أي وقت للقبض عليه، لقد قام باتصالاته لكن دون فائدة فقد تخلي عنه أعوانه حتى الذين يطعمهم من وجهة نظره.

تنهد وهو يزفر بقوة وأطفأ سيجاره داخل طفاية كريستال موضوعة على طاولة صغيرة امامه ثم زفر بعصبية من شدة الضيق فليس أمامه الآن سوى الانتظار كمن ينتظر تنفيذ حكم إعدامه.

●●●

اقترب «الشربيني» من العقار الذي يقطن فيه بشارع «سوريا» بمنطقة رشدي بالإسكندرية، كان رجلاً في أوائل العقد الرابع من العمر ممتلئ الجسد متوسط القامة أصلع الرأس عدا تلك الشعيرات التي تملأ جانبي رأسه، له عينان واسعتان ذات حدقة كبيرة إحداهما عين صناعية بسبب فقدانه عينه في إحدى العمليات لذلك أسماه «عزيز»

«عين النمر» في مداعبة منه.

صعد للطابق الثالث ودس مفاتيحه المعدنية في فتحة الباب ليدلف إلى الداخل وعيناه تجوبان المكان لكنه لم يجد الخادمة أمامه في صالة المنزل هتف باسمها لكنها لم تجيبه، هنا تسلل القلق إلى قلبه فأخرج سلاح ناري من طيات ملابسه كان مرخصًا بالطبع لغرض العمل كحراسة في شركة «عزيز» خطى ببطءٍ نحو غرفة النوم لأنها آخر مكان تبقى في المنزل بعدما نظر في الغرف الأخرى والمطبخ لكنه لم يجد شيئًا.

دخل الغرفة ليجد الفتاه الفلبينية وقد اكتسى وجهها بعلامات الذعر وهي تنظر إليه مستغيثة، كانت قد قيدت أطرافها وكمم فمها فوق الفراش فقبض على مسدسه بقوة وهو ينظر لبقية الغرفة لكنه لم يجد أحدًا فتقدم نحوها متسائلاً

«مين إللي عمل فيكي كده؟»

أشارت الفتاة بعينها نحو خزانة الملابس فالتفت بدوره إليها و.....

وفجأة خرج «إسماعيل» من خلف باب الغرفة وقفز نحوه متعلقًا به ليسقط الاثنان أرضًا ويشتركان في مشاجرة قوية، ووجه «إسماعيل» لكمتان إلى وجه «الشربيني» وسالت الدماء

من طرف شفتاه لكن الأخير ليس بالخصم السهل فدفع جسد «إسماعيل» من فوقه وحاول الوصول لمسدسه الذي سقط معه بجوار فراش النوم لكن الضابط عاود الانقضاض بشراسة كأسد جائع يفتك بفريسة ضعيفة.

كانت الخادمة لا ترى شيئًا لكنها كانت في قمة الخوف والرعب، الآن ترى الخصميْن بعدما تركا الأرض ووقفا يكملان معركتهما الشرسة فوجه «الشربيني» ضربة قوية إلى وجه الضابط الذى تراجع على أثرها للخلف ورأى الرجل ينقض عليه مرة أخرى لكنه تفادها وانحنى ليسدد قبضته إلى معدة الأخير الذى تأوه عاليًا من الألم الشديد ثم باغته «إسماعيل» بضربة أخرى من ركبته نحو وجهه لتتفجر أنفه وتسيل منها الدماء وهو يتراجع على أثرها ليصطدم بخزانة الملابس لكن سرعان ما تفادى انقضاضه «إسماعيل» هذه المرة وهو يلقي في وجهه طفاية سجائر كريستال كانت موضوعة فوق الكومود الخشبي بجانب الفراش فرفع «إسماعيل» يده لتصطدم بها وتألمه كثيرًا لكنه تغاض عن آلامه ولاحق «الشربيني» الذى ركض خارجًا الغرفة نحو صالة المنزل.

قفز «إسماعيل» نحوه وسقط الاثنان فوق الأريكة الكبيرة ليسقطا من فوقها على أرضية المنزل ذات السجادة السميكة

الفاخرة، وبكل غضبه كال «إسماعيل» عدة لكمات قوية في وجه الرجل الآخر الذي تأوه كثيرًا من الألم وحاول عابثًا الدفاع عن نفسه ثم أمسكه «اسماعيل» من عنقه قائلاً بشراسة كبيرة وهو يضغط عليه:

«فين مراتي؟»

شعر الرجل باختناق كبير وزاد احمرار وجه وهو يقاوم بقوة فأعاد الضابط سؤاله

«فين مراتي يا شربيني؟ انطق وإلا هخلص عليك، اللي زيك ملهوش دية»

هنا لمح «الشربيني» صندوق صغير بلاستيكي بجوار الأريكة لوضع بعض المخلفات الصغيرة من المناديل والأوراق وما شابه ذلك فركز عينيه على «إسماعيل» في حين امتدت يداه لتمسك الصندوق الصغير وضرب به رأس الضابط لتتناثر قطع المخلفات الصغيرة في الهواء ويسقط الرائد بجواره.

هنا قام الرجل سريعًا وهو يسعل بقوة بينما جسده يترنح يمينًا ويسارًا وركض نحو غرفة النوم مرة أخرى ليجلب مسدسه، وانحنى يمسك به ثم استدار مستعدًا لمواجهة الضابط الذي رآه أمامه فجأة ليقبض على يده التي تحمل المسدس ويرفعها عاليًا

ثم ضرب رأسه بقوة في وجه «الشربيني» عدة مرات حتى بدء الرجل يفقد توازنه نهائيًّا لكنه كان ضخم الجثة ويملك من القوة مما يجعله يقاتل لآخر وقت فحاول أن يفلت يده من يد الرائد «إسماعيل» الذي لوي ذراعه بقوة بطريقة ما في نفس اللحظة التي حاول فيها «الشربيني» الضغط على الزناد و......

وانطلقت رصاصة مكتومة لتخترق قلب الرجل وتسيل منه الدماء هنا تراجع «إسماعيل» للخلف غير مصدق ما فعله دون قصد وهو يرى الرجل يسقط أمامه على ظهره فوق الرضية المصنوعة من الخشب الزان والتي تلونت باللون الأحمر، في تلك اللحظة لم تتحمل الفتاة المسكينة المقيدة فوق الفراش ما رأته للتو فسقط رأسها مغشيًّا عليها.

وبالرغم من استيائه الكبير للقتل والدماء، ورغم أن هذا لا يتناسب مع طبيعة شخصيته وعمله كرجل أمن إلا أنه وفى تلك اللحظات بالذات كان في داخله يرقص شيطان الانتقام ويطلق لهيب نيران الشر داخل قلبه فشعر بارتياح بسيط لا تتعدى نسبته الواحد في المائة لفعله هؤلاء في نسائه الثلاثة.

لكن بالطبع ليس الانتقام سمة حسنة فهو طريق مليء بالدم ويحرق صاحبه بالنيران ... نيران الندم.

هنا في تلك اللحظة وبعد مرور خمس دقائق كاملة تذكر «إسماعيل» أنه خسر خيطًا هامًا جدًا كان يمكن أن يقوده إلى زوجته الحبيبة ولكن مهلاً فمازال هناك هاتف الرجل المحمول بالتأكيد يمكن أن يقوده هذا إلى خيط جديد أو على الأقل يساعدة في بحثه.

التقط الهاتف من طيات ملابس الرجل الغارق في دمائه ثم غادر المنزل في هدوء ليبدأ جولة جديدة في سباق مع الزمن .... سباق الموت

●●●

التقطت « نادية سليمان» هاتفها المحمول وقامت بطلب رقمًا ما ثم انتظرت قليلاً لتسمع صوت محدثها فقالت مبتسمة «إزيك يا سامية عاملة إيه؟»

انتظرت لتسمع إجابة « سامية رشدي» زوجة أحد أشهر رجال الأعمال في مجال المقاولات في الإسكندرية حيث يمتلك زوجها ثلاثة شركات كبيرة تعمل في مجال بناء العقارات في الإسكندرية والقاهرة والساحل الشمالي وهي صديقتها الحميمة منذ سنوات.

أجابتها «سامية» في ود كبير:

«الحمد لله يا ناني إنتي عاملة إيه؟»

«بخير، بقولك انتي طبعًا فاكرة ميعادنا النهارة علشان نروح مع بعض بيوتي سنتر اللي في محطة الرمل؟»

«أيوه طبعًا فاكراه، تحبي أجيلك ولا تيجي أنتي؟»

قالت «نادية» سريعًا

«لأ إحنا بس حنأجل الميعاد لبكره لأن الجو النهاردة مش مناسب»

«خلاص ماشي يا ناني حستني منك تليفون بكرة»

«أوكي يا حبيبتي ... باي»

«باي»

ثم أغلقت «نادية» الهاتف ونزلت لترى زوجها الغارق في تفكيره والغارق في بحر من دماء الأبرياء.

●●●

هنا كفي ذلك المكان المخيف تقوقعت «نورا» في مكانها بعد أن سرى الخوف في جسدها بأكمله وتشتت أفكارها كمجموعة

مـن ذرات الفضـاء السـرمدي تتحـرك بعشـوائية في كل مـكان، تذكـرت زوجهـا فتمنـت رؤيتـه في تلـك اللحظـة بالـذات لكنهـا عاتبت قلبهـا لذلـك الحنـين الكبيـر خشـية عليـه مـن أن يتـأذى مـن هـؤلاء المجرمـين.

فجـأة سـمعت صـوت بـاب ينفتـح فنظـرت ناحيـة الصـوت لتجد شـخصًا مـا يدخـل عليهـا، إنـه أحـد هـؤلاء الرجـال معتـادي الأجرام، دخـل يفترسـها بنظراتـه الغريزيـة، اقتـرب منهـا فـزاد رعبهـا أكثـر مـن تلـك النظـرات المخيفـة لكنـة قطـع الصمـت بكلمـات جعلـت قلبهـا يهـوى بـين ضلوعهـا:

«متخفيـش يـا حلـوة، احنـا هنقعـد مـع بعـض شـوية بـس لـو حاولتي تصرخـي أو تعلـي صوتـك مـش هيطلـع عليكـي صبـح ... فاهمـة؟»

زاد الارتجـاف أكثـر في جسـد «نـورا» عندمـا فهمـت مقصـد الرجـل الدنـيء وانكمشـت في مكانهـا أكثـر كسـلحفاة تدخـل مختبئـة في قفصهـا الصـدفي وهـي تـري الرجـل يقتـرب منهـا أكثـر وأكثـر بينمـا ارتسـمت ابتسـامة شـيطانية علـى وجهـه و...

«جعفـر»

انطلـق الصـوت يشـق المـكان فالتفـت الرجـل الأخيـر بسـرعته ليـرى «أمجـد» قـادم نحـوه وهـو يتسـاءل بحدتـه المعهـودة:

«بتعمل إيه؟»

تلعثم الرجل وهو يجيب صاحب النظرات الحادة

«أاا.....أنا..... أنا كنت بطمن عليها بس يا ريس»

هنا استجمعت «نورا» شجاعتها لأول مرة وهى تهتف

«كداب»

التفت الرجل إليها صائحا في وجهها

«اخرسي»

لكنه عندما التفت مرة أخري هوت يد «أمجد» لتصفعه بقوة فرفع «جعفر» عيناه إليه ثم أخفاها في ذل وانضياع كامل وبعدها غادر المكان سريعًا

هنا نظر السفاح نحو «نورا» المرعوبة للحظات ثم تركها هو الآخر وغادر المكان.

●●●

انطلق صوت مميز من الهاتف ل «محي ابراهيم» أحد رجال «أمجد» ورئيس طاقم الحراسة لفيلا «عزيز» معلنا وجود رسالة جديدة فأخرج الرجل هاتفه وأخذ يقرأ الرسالة الواردة

وانعقد حاجباه لهذه الكلمات الغريبة ثم حاول الاتصال بصاحب الرسالة لكنه لم يجبه، حاول مرة أخرى وثالثة ورابعة لكن ما من مجيب.

تصارعت التساؤلات في رأسه وفكر في الاتصال «بأمجد» للتشاور معه لكنه تذكر تحذير «عزيز» بعدم الاتصال به في المخبأ نهائيًّا.

أخيرًا عزم أمره والتفت لرجال الحراسة مفتولي العضلات قائلاً:

«أنا رايح مشوار وراجع مش حتأخر ... فتحوا عنيكوا كويس»

أومأ الرجال برأسهم موافقة في حين تحرك هو مغادرًا ساحة الفيلا ثم اتجه نحو سيارته وانطلق بها إلى ذلك العنوان الذي ذكره صاحب الرسالة بينما انزرعت الشكوك بداخله ونبت شوكها كأشجار الصبار.

●●●

تلبدت السماء بالغيوم وكأنها تغلق عيناها عن تلك الدماء التي سفكت دون أي ذنب وساعدتها السحب المحملة بالماء في ذلك كأنما تشترك معها في حزن كبير، ووسط المارة سار «إسماعيل» بوجه من صخر كأنه قطعة من قلب الجبال.

دخل إلى محطة القطار الرئيسية – محطة مصر – بمدينة الإسكندرية ثم عبر البوابة الإلكترونية الصغيرة المثبتة على بوابة المحطة غير عابئ بأفراد الشرطة الذين يقفون بتأهب تتابع عيونهم المواطنين عن كثب متطلعين لأي شيء يثير ريبتهم.

اتجه «إسماعيل» نحو دورات المياه العمومية والتي يجلس أمامها رجلاً يرتدي ثياب رثة ممسكًا بيده أدوات تنظيف دورات المياه وهي عبارة عن جردل بلاستيكي صغير انكسر جزء من حافته وممسحة طويلة ذاب جزء من جلدها من فعل الزمن حيث أدوات مثل تلك تستلزم ميزانية يجب أن توافق عليها الهيئة المختصة لجلب أخري جديدة رغم أنها بحفنة صغيرة من الجنيهات ولكن هذا هو وضع البلاد.

رفع الرجل عينيه المتهالكة بفعل الزمن إلى «إسماعيل» الذي قال له بحزم:

«أنت اللي مسئول عن الحمامات دي؟»

أجاب الرجل سريعًا وهو يقوم من مكانه متطلعا في قرارة نفسه لفعل أي شيء حتى يحصل على حفنة من الجنيهات ليعود إلى أسرته الصغيرة بشيء ما ربما يكون كيس من الفاكهة الذي يأتي به فقط كل أول شهر عندما يحصل على راتبه الهزلي الذي لا يكفيه هو بمفرده:

«أيوه يا بيه تحت أمرك»

أجاب «إسماعيل» قائلا بهدوء

«عايزك تعملي خدمة»

ثم أتبعها بسحب ورقة نقدية من جيب سرواله ذات الفئات الكبيرة لمعت معها عيني الرجل و تهللت أساريره وهو يجيب بلهفة «تحت أمرك يا بيه ... أومرني؟»

هنا جالت عيني «إسماعيل» في المكان وتنفس بعمق وهو يشعر أن خطته تسير على ما يرام بفضل الله تعالي حتى الوقت الحاضر فقط.

●●●

دخل النقيب «أحمد» إلى مستشفى الشرطة واستقل الأسانسير ليصعد للطابق الثالث وغادره ليتجه نحو اليسار في ممر طويل مليء بغرف المرضى ثم اتجه نحو مكتب استقبال صغير في أول الممر ليجد فتاة شابه بيضاء البشرة متوسطة القامة لها عينان صغيرة وفم صغير أيضًا يعلوه أنف رفيع معقوف.

ابتسمت الفتاة قائلة بود كبير تعودت عليه أثناء عملها في ذلك المكان والذي يتمثل في استقبال أهالي المرضى.

«أهلاً وسهلاً يا فندم ... أي خدمة؟»

أجابها الشاب بهدوء

«غرفة الرائد - إسماعيل يسري - لو سمحتي؟»

هنا تلاشت ابتسامة الفتاة أو أصبحت باهتة على الأقل وهي تجيبه:

«ده خرج النهارده»

تساءل الرجل بتكهن:

«هو الدكتور - عامر- كتبله على خروج؟»

ظهر التردد واضحًا على وجه الفتاة الصغير وهي تجيب:

«الحقيقة مش عارفة ... حضرتك قريبه؟»

لم يشأ الرجل أن يضيع الوقت في مثل هذه الأمور لكنه قال بحزم واضح «النقيب أحمد بدراوي ... عايز أقابل دكتور عامر لو سمحتي» على الفور أجرت الفتاة اتصالاً ثم نفذت الأمر وهتفت باسم أحد أفراد التمريض والذي اصطحب النقيب «أحمد» إلى مكتب اللواء الطبيب «عامر فوزي»

دخل الأول إلى المكتب الوثير بينما استقبله الأخير وهو رجل بين الخمسين والستين من العمر يرتدي نظارة طبية

وتكتسي ملامح وجه بالطيبة، وبعدما ألقى التحية وقام بتعريف نفسه تساءل النقيب «أحمد» باهتمام بالغ:

« أنا عرفت أن سيادة الرائد – إسماعيل يسري – خرج النهاردة الصبح، هو حضرتك كتبتله على خروج؟»

أجابه الرجل سريعًا «لأ للأسف» باستغراب شديد تساءل النقيب:

«أومال هو خرج إزاي حضرتك؟»

هز الرجل رأسه بتعجب وهو يجيب:

«ده خرج من نفسه، أنا كنت رايح أطمن عليه في الغرفة لقيته خارج منها بسرعة وهو مفزوع وبيجري ولما ناديت عليه مردش عليا» عقد النقيب « أحمد» حاجبيه قليلاً وهو يستمع لكلمات الطبيب ثم عاود سؤاله من جديد:

«طيب حضرتك لما دخلت غرفته بعدها ملاحظتش حاجة؟»

هز الطبيب كتفيه بلا مبالاة مجيبًا «عادي ... مفيش حاجة تدعو للاستغراب لأنه خد متعلقاته كلها، لكن الأغرب هو خروجه بالشكل المفاجئ ده وبالسرعة دي»

هنا زادت حيرة الشاب ألاف المرات لكنه أخيرًا أستأذن من الطبيب وانصرف مغادرًا المستشفى بينما عقله يشبه بحر هائج تتصارع فيه الأفكار بقوة.

ماذا حدث؟

بدأ عقله يعمل بسرعة جنونية ويطلق سهام الأسئلة في كل جانب.

هل يواجه الرجل خطرًا ما من «عزيز» ورجاله؟

إنه الاحتمال الأقرب خاصة بعدما أوقفت جهة ما قرار النيابة بالقبض على «عزيز»، إذًا لابد من التحقق من هذا الأمر وبأسرع وقت. نظر في ساعته ليجدها الرابعة والنصف عصرًا ففكر مليًا ثم اتجه نحو محطته التالية والهامة، المحطة التي ستبين كل شيءٍ أمامه تمامًا سوف يذهب إلى منزل الرائد «إسماعيل يسري» مباشرة.

●●●

«تعالى يا باشا ... ارجع تعالى ... تعالى»

نطقها شاب نحيل الجسد متوسط القامة ظهر البؤس واضحًا على ملامح وجهه أثناء قيامه بإيقاف سيارة جيب سوداء على جانب الطريق بجوار سور «محطة مصر» بالإسكندرية

والذي اتخذه موقف خاص له لإيقاف السيارات لوقت ما حتى يعود أصحابها ويغادرون بها تاركين له حفنة من الجنيهات.

ترجل «محي» من سيارته ونظر للفتى المسكين بتعالٍ ثم تركه ومضى في طريقه ليدخل إلى محطة القطار وسط زحام المسافرين، كان يرتدي بذلة سوداء أنيقة ونظارة شمسية رغم تلك الغيوم التي تجمعت في السماء لتحجب الشمس تمامًا وتحمل معها مخزون كبير من طلقات الماء التي تستعد لإفراغها على رؤوس البشر.

أخرج الرجل هاتفه وحاول الاتصال بصاحب الرسالة لكنه كالعادة لم يجبه فأخذ ينظر يمينًا ويسارًا لكن فجأة وجد رسالة أخري على هاتفه فقرأها سريعًا وزفر بقوة وهو يهز رأسه ثم اتجه نحو دورات المياه العمومية داخل محطة القطار.

اقترب منها ليوقفه عامل النظافة قائلاً:

«معلش يا باشا الحمامات مش شغالة»

عقد «محي» حاجبيه وقبل أن ينطق بحرف واحد انطلق رنين هاتفه فنظر ليجده صاحب الرسالة فأجاب بسرعة «ألو .. علي .. علي .. ألو؟»

فجـأة سـمع صوتـا مختلفًـا غيـر صـوت «علـي الشـربيني» الـذي جائتـه الرسـالة مـن هاتفـه قائـلاً:

«قـول للعامـل أنـا بتـاع الصيانـة وحيدخلـك ... بسـرعة أنـا مسـتنيك»

«أنت مين؟ الو ... ألو»

انتابـت الشـكوك قلـب «محـي» فهـذا ليـس صـوت زميلـه ثـم مـا هـذا المـكان القـذر الـذي يريـد مقابلتـه فيـه؟ فكـر في المغـادرة سـريعًا لكـن شـيئًا مـا بداخلـه أخبـره أن يسـتجيب لذلـك الأمـر ربمـا كان صحيحًـا رغـم اسـتنكاره الكبيـر مـن هـذا المـكان المشـمئز.

عـاد ينظـر للعامـل وهـو في غايـة التـردد والحـذر لكنـه لـم يلبـث إلا أن نطـق كلمـة السـر للعامـل البسـيط «أنـا بتـاع الصيانـة»

فهـم الرجـل الرسـالة علـى الفـور وفتـح بـاب دورة الميـاه ليدخـل الرجـل ثـم أغلـق البـاب فـورًا ويقـف أمامـه ليكمـل مهمتـه التـي كلـف بهـا. وقـف «محـي» ينظـر للبـاب الـذي أغلـق فـور دخولـه ثـم بحـث بعينيـه في المـكان ذو الرائحـة الذكيـة جـدًا.

كانـت أمامـه خمسـة أحـواض ميـاه اصطفـت بجـوار بعضهـا علـى يمينـه تعلوهـا خمسـة صنابيـر ميـاه ظهـر الصـدأ عليهـا واضحًـا بينمـا كان بعضهـا غيـر سـليم تمامًـا نظـرًا لقطـرات الميـاه

التي تتساقط منها، بينما أمامها وعلى بعد حوالي ثلاثة أمتار تقريبًا اصطفت أربع دورات مياه صغيرة ذات أبواب خشبية مهرتئة.

حاول الرجل استنشاق هواء نظيف لكنه لم يستطيع من جراء تلك الرائحة التي تجعلك تتقيأ ما في جوفك ثم لم يلبث أن هتف بهدوء حذر:

«علي؟»

هنا انطلق صوت هاتفه فنظر فيه ليري رقم الشربيني فعاد ينظر أمامه باحثًا في المكان الذي استطاع تمييزه رغم الضوء البسيط للمصابيح الصغيرة المعلقة في سقف المكان، هنا خرج «اسماعيل» من إحدى دورات المياه ممسكًا في يده هاتف «الشربيني» ووقف أمام «محي» يتفحصه وقد التصقا حاجباه ببعضهما.

كان جامدًا كالحجر فظهر وجه كأنه نحت من الجبل. في تلك اللحظة تأكدت شكوك «محي» وعاتب ذكائه الذي جعله فريسة سهلة لذلك الشخص الغريب لكنه لم يلبث إلا أن عقد حاجبيه بدوره وهو يتساءل بلهجة حادة يشوبها التوتر:

«إنت مين؟ وفين الشربيني؟»

مرت ثواني كثيرة نظر فيها «إسماعيل» لوجه الرجل ثم أجابه بعدها ببرود متناهي:

«مراتي فين؟»

هنا تجلت الرؤيا واضحة أمام «محي» الذي قال سريعًا وقد تملكه الغضب «هو أنت؟!!!»

ثم حاول أن يخرج مسدسه من طيات ملابسه لكن الرائد «إسماعيل» لم يترك له الفرصة فقذف الهاتف في وجه مما جعل الآخر يسحب يده سريعا قبل أن تلمس المسدس الناري ويحمي وجه بسرعة البرق ليصطدم الهاتف به ويسقط أرضا وما أن أنزل يده حتى فوجئ بيد أخرى تصطدم بوجه كالقنبلة ليتراجع «محي» على آثرها للخلف، وهجم «إسماعيل» كأسد جائع ليلتحم مع الرجل بقوته ويكيل كلا منهما للآخر، وتأوه «محي» أثر ضربة قوية تلقاها من الرائد في معدته والتي كان ألآمها رهيبًا في حين ظن «إسماعيل» أن المعركة قد انتهت في تلك اللحظة لكنه كان مخطئًا.

●●●

دخل النقيب «أحمد» البناية السكنية التي يقطن فيها الرائد «إسماعيل» بعدما كلف أحد مساعديه بالمديرية بالبحث عن العنوان وأرساله له عبر الهاتف.

استقبله حارس العقار وكان رجل في أوائل العقد الرابع متوسط القامة خمري البشرة ظهر عليها إرهاق سنوات رغم عمره الذي ليس بكبير.

تساءل الحارس كعادته بدخول كل غريب للبناية:

«أيوه يا أستاذ عايز مين؟»

أجاب «أحمد» بهدوءٍ:

«شقة الرائد إسماعيل يسري؟»

«أيوه الدور الخامس شقة ٣٢ ، لكن الباشا خرج»

«مِنّ إمتى؟»

أجابه الحارس سريعًا «بعد الضهر بشوية»

تنفس «أحمد» بعمق ثم تركه ليصعد للطابق الخامس لكن الحارس أوقفه قائلاً:

«بقول لسعادتك الباشا مش موجود فوق»

التفت إليه النقيب «أحمد» وقد ضايقه أسلوب الحارس فقال ببرود متناهي:

«أنا حطلع للموجودين فوق وأنت حتيجي معايا»

ثـم دفعـه أمامـه وحـاول الحـارس أن يعتـرض لكـن أسـلوب الرجـل الجـاف جعلـه ينصـاع لكلامـه، واسـتقل الاثنـان المصعـد حتـى الطابق الخامس ثم دلف منـه حتـى وصـلا أمام بـاب المنـزل فضغـط «أحمـد» الجـرس وانتظـر قليـلاً لكـن لـم يفتـح أحـد البـاب فحـاول مـرة أخـري لكـن نفس الشـيء لا أحـد يجيـب فحـاول طـرق البـاب مـرة وثانيـة لكـن الوضـع كمـا هـو فقـال الحـارس بنفـاذ صبـر «مـا أنـا قولتلـك يـا باشـا مفيـش حـد هنـا»

نظـر لـه النقيـب الشـاب قليـلا واسـتعد للرحيـل لـولا أنـه فجـأة انفتـح بـاب الشـقة المجـاورة وظهـرت سـيدة في العقـد الثالـث مـن العمـر بيضـاء البشـرة ممتلئـة الجسـد قليـلاً سـألت الحـارس باهتمـام بالـغ:

«خير يا محمد هي مدام نورا عندها مشكلة؟»

أجابها الحارس بتوتر «لا يا مدام ... مفيش حاجة»

هنا تدخل «أحمد» متسائلاً:

«هو حضرتك لاحظتي عليها حاجة النهاردة؟»

أجابته السيدة سريعًا كأنما تنتظر هذا السؤال:

«أصل بنتي سمعت حد بيصرخ عندهم النهاردة»

ضاقت عيني النقيب «أحمد» وهو يسألها:

«إمتي بنتك سمعت الصراخ ده؟»

«يعني قبل الظهر بشوية»

نظر «أحمد» إلى الحارس وسأله بحزم

«أنت ملحظتش حاجة على الباشا وهو نازل؟»

تلعثم الرجل قليلاً وهو يجيب

«لا ... لا ... لأ مشفتش حاجة»

هنا انتابت الشكوك قلب ضابط الشرطة حول الحارس فصاح في وجه «كداب»

ارتجف الرجل وظهر التوتر في صوت وهو يقول

«ليه يا باشا أنا بقول الحقيقة» «أنت عارف حاجة ومش عايز تتكلم» وقبل أن يجيبه الحارس التفت للسيدة التي كانت في ذهول وتوتر من هذه المحادثة ثم سألها محاولاً الحفاظ على هدوئه معها «حضرتك معاكي رقم مدام نورا؟»

أجابت السيدة سريعًا «أيوه»

«طيب ممكن تتصلي بيها لو سمحتي»

«حاضر»

قالتها السيدة وتحركت للداخل لإحضار هاتفها واختفت قليلاً لمدة لم تتجاوز الدقيقة الواحدة عادت بعدها وفي يدها هاتفها المحمول وقامت بالاتصال بزوجة الرائد لكن أجابها ذلك الصوت الآلي الرتيب معلنًا إغلاق الهاتف فنظرت للنقيب «أحمد» قائلة:

«مقفول»

فكر الشاب قليلاً ثم سألها مرة أخرى «طيب حضرتك معاكي رقم أي حد من قرايبهم مثلا ممكن نتصل بيه» «آه معايا رقم مامتها ، حتصل بيها»

وما أن طلبت رقمها حتى سمعوا جميعًا صوت هاتف ما يأتي من داخل منزل الرائد «إسماعيل يسري» فقام النقيب بطرق الباب عدة مرات بقوة وضغط الجرس أكثر من مرة لكن لم يجبه أحد.

هنا التفت للحارس صائحًا بغضبٍ «أنت حتيجي معايا مديرية الأمن وهناك حعرف أخليك تتكلم» هنا أنهار الرجل هلعًا «ليه يا باشا أنا معملتش حاجة أنا غلبان يا باشا أنا عندي عيال» صرخ «أحمد» هذه المرة في وجه غاضبًا «انطق أحسنلك أنت شفت إيه النهاردة لما جه سيادة الرائد؟»

«والله ما شوفت حاجة، الحكاية كلها إن في ناس جم هنا الصبح وأدوني فلوس وقالولي غيب ساعة وتعالي»

هنا التصق حاجبًا النقيب «أحمد بدراوي» بعدما تأكدت شكوكه بأن هناك مكروه ما جعل الرائد «إسماعيل يسري» يغادر المستشفى سريعا، هناك أمر ما حدث له أو لعائلته، أمسك الحارس من لياقته وقرب وجه منه وهو يقول بكل غضب الدنيا «ناس مين دول؟»

«معرفهومش ... والله ما أعرفهم»

تنفس «أحمد» بعمق فقد كان حدثه صحيحًا. بعدها قال للرجل «هات حد يفتح الباب ده ... بسرعة» ومن داخله كان متيقنًا أن خلف هذا الباب هناك ... شر كبير.

●●●

اختفت الشمس خلف سفن السحب المحملة بالماء واختبأت كطفل صغير هارب من عقاب والدته، وفى داخل الحرم الجامعي وبالتحديد في كلية الهندسة جامعة الإسكندرية وقفت «شيري» ابنة «عزيز» مع زميلاتها وقد استعدت لمغادرة المكان بعد انتهاء يوم دراسي جديد لكن إحدى الفتيات قالت لها باهتمام كبير:

«على فكرة يا شيري أنا سمعت كلام كده على باباكي مش كويس» عقدت الفتاة حاجباها قليلاً وهي تسأل باستغراب «كلام إيه؟»

اقتربت الفتاة منها خشية أن يسمعها أحد وهمست بهدوء «أن عمو – عزيز – جه اسمه في قضايا كتير زي المخدرات» تعصبت «شيري» وهي تقول بحدة:

«مين إللي قال الكلام الفارغ ده؟»

«عدوتك اللدودة .... سالي»

زادت عصبية الفتاة وهي تجيبها:

«دي كدابة، دي محروقة من جواها علشان «حازم» سبها وجري ورايا أنا»

حاولت الفتاة الأخرى تهدئتها قائلة:

«طيب ممكن تهدى شوية، الموضوع بسيط ممكن تسألي باباكي ولما تتأكدي ساعتها تحطي صوباعك في عينيها»

«إنتي أتجننتي، عايزاني أقول لبابا حاجة زي دي؟ وكمان عايزاني أصدق الكلام التافه ده أنا بابا أشرف واحد في الدنيا، سمعه؟»

تراجعت الفتاة الأخرى أمام حدة «شريهان» قائلة:

«خلاص خلاص أنتي حرة، بس أنا قلت أنبهك ... سلام»

ثم تركتها الفتاة وغادرت المكان تاركة «شيري» في غضب وحيرة كبيران وبعد تفكير طويل قررت الفتاة سؤال والدها عند عودتها للفيلا لكنها لم تكن تعلم بأنه سيكون بانتظارها مفاجأة من العيار الثقيل الثقيل جدًا.

●●●

اصطدم جسد «إسماعيل» بأحد الجدران لدورة المياه العفنة أثر دفعة قوية من «محي» والذي أتبعها بضربة قوية في وجهه الأول فسالت الدماء من شفتيه لكنه تنحى جانبًا ليتفادى الضربة الثانية ثم وجه له ضربه في وجهه برأسه، وسالت الدماء أكثر من وجه «محي» وشعر بدوار عنيف في رأسه بينما ضاق المشهد أمام عينيه.

في تلك اللحظة اندفع الضابط نحوه بقوة ليصطدم به بعنف ويسقط الاثنان أرضًا ثم كال «إسماعيل» عدة لكمات قوية إلى وجه «محي» ثم أمسكه من عنقه بقوة وضغط على كلماته وهو يسأله بكل غضب الدنيا:

«فين مراتي؟»

لـم يجـب الشـاب وهـو يقـاوم بـكل مـا أوتـيَ مـن قـوة فأعـاد «إسـماعيل» سـؤاله:

«مراتي فين؟.. انطق وإلا هتحصل زميلك ...... الشربيني»

هنـا وأثنـاء مقاومتـه لمـح «محـي» مسدسـه بالقـرب منـه فمـد يـده اليمنـى وأمسـك المسـدس وضـرب بـه وجـه «إسـماعيل» بقـوة ليتـأوه الأخيـر ويسـقط مـن فوقـه وسـقط المسـدس أيضـا مـن قـوة الضربـة.

قـام «محـى» مجاهـدًا وهـو يسـعل بقـوة بينمـا مـازال الـدوار يكتنـف رأسـه في نفـس اللحظـة التـي اسـتجمع «اسـماعيل» فيهـا مـا تبقـى مـن قوتـه وقـام بـدوره ليـرى «محـى» يسـتعد لضربـه، هنـا وفـى تلـك اللحظـة تذكـر «إسـماعيل» مشـهد الذبـح والدمـاء فتضاعـف غضبـه آلاف المـرات وهـو يـرى «محـي» ينقـض عليـه لكنـه ركل بقـوة بأسـفل حذائـه في ركبـة «محـي» ثـم ركلـة أخـرى مـن ركبتـه اليمنـى في وجهـه فسـقط الأخيـر مـرة أخـرى لكـن «إسـماعيل» أمسـك بـه بعنـف وأجبـره علـى الوقـوف ثـم دفعـه ليصطـدم بحـوض الميـاه – إحـدى الأحـواض الخمسـة – فصـاح «محـي» بألـم «آآآآه»

وقبـل أن يسـقط أرضًـا أمسـك «إسـماعيل» رأسـه وظـل يضـرب بهـا حـوض الميـاه بعنـف حتـى انكسـر الحـوض المهتـرئ وسـقط جسـد «محـي» أرضًـا وظـل ينتفـض بقـوة حتـى هـدأ تمامًـا بعدمـا انغرسـت قطعـه مـن سـيراميك حـوض الميـاه في عنقـه.

هنا انتابت «إسماعيل» حالة هستيريا من مشهد الدماء الذي يذكره بالمذبحة التي حدثت في منزله وراح ضحيتها أقرب الأقربين له فظل يركل جثة الرجل بقوة وهو يهتف بضعف

«فين مراتي؟.... فين مراتي؟.... فين مراتي؟»

حتى انهار هو الآخر بجوار الرجل الميت وأخذ يبكي في خوف كبير مرت فترة صغيرة من الوقت تمالك الشاب فيها نفسه وربط جأشه ثم قام واتجه نحو إحدى الأحواض وفتحها ثم اغتسل محاولاً الإلمام بنفسه التي لم تعد قادرة على تحمل شيء آخر ثم عدل ثيابه ومسح بعض الدماء التي لوثت سرواله وسترته، بعدها خطى بعيدًا عن الدماء التي أغرقت بقعة متوسطة من الأرض ثم اتجه نحو باب دورة المياه فتحه بهدوء ونظر بإحدى عينيه ليري عامل النظافة يجلس في حراسة المكان كما اتفق معه، تنفس قليلاً محاولاً لم شتات نفسه بعدها فتح الباب وخرج بسرعة البرق ثم أغلقه خلفه هنا قام عامل النظافة الذي حاول أن يقول شيئًا لكن «إسماعيل» أعطاه ورقة نقدية من فئة المائة جنيه أسعدت الرجل كثيرًا الذي حصل اليوم على نصف راتبه تقريبًا الذي يقتضيه من هيئة السكك الحديدية، استمع العامل باهتمام إلى «إسماعيل» الذي قال:

«متفتحش الباب إلا بعد ساعة كمان لما الراجل يخلص شغله ويخرج، فاهم؟ بعد ساعة»

ورغم شكوك الرجل التي انتابته إلا إنه قال سريعًا

«حاضر يا باشا .... تحت أمرك يا باشا»

قال «إسماعيل» محاولاً كسب صدق كلام العامل

«الراجل برده حيشوفك لما يخرج»

تهللت أسارير العامل أكثر ليقينه بأن هناك أموال أخرى سيحصل عليها فقد فاق هذا أقصى طموحه اليوم، تركه «إسماعيل» وأسرع لمغادرة محطة القطار بعدما نظر لساعته ليجدها تقترب من الخامسة مساءً وهذا معناه أنه لم يتبقى إلا أقل من ساعة ونصف على المشهد الثاني من عملية الذبح البشعة ذبح نورا.

●●●

صدر صوت رفيع لثانية واحدة معلنًا فتح الباب بعدما قام النجار الذي أحضره الحارس بعدة محاولات لفتحه، هنا دفع النقيب «أحمد» باب المنزل ودخل يتفحص المكان باهتمام في حين دفع الحارس للنجار ما طلبه نظير خدمته وانصرف مغادر العقار.

«مدام نورا؟»

نطقها «أحمد» بصوت عال لكن لم يجبه أحد وقد لاحظ تبعثر محتويات صالة المنزل، هنا تأكد حسه بالخطر وبحكم عمله في مسرح الجريمة في تلك العمليات الكثيرة التي شهدها طوال عمله في مديرية أمن الإسكندرية وخاصة في مكتب مكافحة المخدرات بدأ عقله المهني يعمل بكفاءة ورسم في مخيلته مشهد شجار وجذب ودفع مع صوت صراخ، رجال يقفون في كل مكان داخل صالة المنزل ويمسكون بأصحابه بقوة تهديد بالقتل هنا صفعة على الوجه هناك تليها صرخة ألم كبيرة جالت عيناه في أرجاء المكان كشريط سينمائي يعيد نفسه حتى وصل لمشهد النهاية لكنه احتار فيه، إما أن انتهى بخطف من كان بالمنزل أوانه الاحتمال الثاني وهو أسوأهما.

تحرك ليفتش المنزل بأكمله، هكذا اتخذ قراره فتحرك نحو غرفة النوم لكن عيناه التقطت هذه المياه التي تغرق أرضية الطرقة الصغيرة والتي تأتي من دورة المياه فاتجه نحوها واقترب منها و..........

واتسعت عيناه عن آخرها من هول ما رأى

●●●

الفصل الرابع

يوم الحساب

بـدأت الأمطـار تهطـل علـى المدينـة السـاحلية حتـى تفضـي سـفن الميـاه في السـماء حمولتهـا، وفي سـيارة أجـرة خاصـة – تاكسـي – نظـر الرائـد «إسـماعيل» إلـى سـاعته ليعلـم كـم تبقـى مـن الوقـت علـى حيـاه زوجتـه.

هـا هـو الآن متجهًـا لأهـم مـكان في خطـة بحثـه نحـو رأس الأفعى مباشـرة نحو فيـلا «عزيـز» نفسـه كان لابد أن يذهـب إليـه في بـادئ الأمـر لكـن مـع مـا مـر بـه اليـوم مـن صراعـات ومشـاهد ذبـح بشـعة ودمـاء لـم يعمـل عقلـه المهنـي بشـكل سـليم، أي إنسـان يتحمـل هـذا؟ بـل أي نفـس بشـرية تسـتطيع تحمـل كل هـذا الشـر؟

أهـذا هـو جـزاء عملـه للحفـاظ علـى هـذا البلـد؟ أهـذا هـو جـزاء عملـه للنيـل مـن الخاربـين والفاسـدين؟ أن يفقـد أعـز النـاس إليـه؟

يـا إلهـي كـم هـو قاسـي ذلـك الثمـن الـذي يدفعـه أمثالـه مـن رجـال الأمـن بعـد حوالـي ثلـث السـاعة ترجـل مـن السـيارة في منطقـة «كفـر عبـده» ومـد يـده في جيـب سـرواله ليخـرج بضعـة نقـود أعطـي السـائق بعضهـا بينمـا احتفـظ ببقيتهـم، اقتـرب مـن الفيـلا ليجـد اثنـان مـن رجـال الحراسـة يقفـان عليهـا فدخـل في طريـق فرعـي صغيـر حتـى يلتـف حـول الفيـلا مـن جهـة أخـرى.

كانـت ألام جسـده شـديدة تنهـش في جسـده كأسـد جائـع يفتـرس فريسـة ضعيفـة لـم تحـاول حتـى الدفـاع عـن نفسـها، لكنـه تغـاض عـن ذلـك في سـبيل انقـاذ زوجتـه، وصـل لنقطـة مـا في سـور الفيـلا الخلفـي الـذي كان ارتفاعـه حوالـي ثلاثـة أمتـار ونصـف، نظـر للسـور و....

مهـلاً .... مـا هـذا؟ مـا الـذي يفعلـه؟ أنـه رجـل شـرطة وليس لـص أنـه يعلـم بالطبـع أن زوجتـه ليسـت في المكـان ولـن يجـرؤ «عزيـز» علـى اخفائهـا في فيلتـه لكنـه الخيـط الأقـوى للوصـول إليهـا الآن، لعـن عقلـه الـذي جعلـه يفكـر كالمجرمـين وعـاد يلتـف مـرة أخـرى حتـى وصـل إلـى بوابـة الفيـلا ليسـتقبله رجـل الحراسـة وتسـاءل أحدهمـا في حـزم:

«أيوه يا أستاذ؟ أي خدمة؟»

«أنـا محمـد أنـور مسـاعد مديـر الحسـابات في الشـركة وعندي ميعـاد مـع الباشـا»

نطقهـا «إسـماعيل» بعـد تفكيـر سـريع قطعـه في تلـك الخطـوات حتـى بوابـة الفيـلا ولاحـظ نظـرة الشـك والريبـة في عينـي رجـل الحراسـة الـذي أخـذ يتفحـص منظـره المريـب وعلامـات الاجهـاد الواضحـة علـى وجـه وكذلـك ملابسـه الرثـة والتـي ابتلـت أجـزاء صغيـرة فيهـا، هـل سـتنجلي الخدعـة عليهمـا؟

هل سيصل إلى «عزيز» بهذه الخدعة الصغيرة؟

حتمـا أنهـا أفضـل مـن كشـف هويتـه خاصـة ـيـ في تلـك الظـروف بعدمـا خسـر «عزيـز» بضاعتـه ورجالـه وينتظـر أمـرًا بالقبض عليه.

«دقيقة واحدة»

قالهـا الرجـل وتحـرك نحـو جهـاز صغيـر معلـق علـى سـور الفيـلا بجانـب البوابـة في حـين وقـف الرجـل الآخـر يرمقـه بنظـرات حـادة، سـمع «إسـماعيل» الرجـل يتحـدث في الجهـاز الصغيـر ثـم ينتظـر الـرد مـن الجانـب الآخـر، بعدهـا رآه يسـتمع لمحدثـه بعـد فتـرة صمـت قليلـة وفي تلـك اللحظـة رمقـه الرجـل بنظـرة مـا، نظـرة أثـارت ريبـة وقلـق رجـل الشـرطة. عـاد بعدهـا الرجـل قائـلاً بحـزم واضـح:

«الباشـا معندهـوش مواعيـد مـع حـد وكمـان هـو مبيسـتقبلش موظفـين في الفيـلا»

كان «إسـماعيل» ليس لديـه النيـة نهائيًّـا سـواء في كشـف هويتـه أو في الاشـتباك مـع الرجلـين في ظـل حالتـه تلـك خاصـة بعدمـا مـر بـه منـذ بدايـة ذلـك اليـوم لذلـك فضـل أن يحتكـم إلـى عقلـه فأجـاب الرجـل بهـدوء رهيـب تمالـك فيـه نفسـه:

«إزاي حضرتـك ده أسـتاذ – حسـن الشـاذلي – مديـر الشـئون الماليـة هـو اللـي بعتنـي ومعـرف الباشـا إنـي جايلـه»

كان كلامه بثقة كبيرة لكن رجل الحراسة قال بنفس الحزم الذي لا يقبل المناقشة وهو يضع يديه على كتف «إسماعيل»

«قولتلك الباشا مبيستقبلش موظفين في الفيلا»

شعر «إسماعيل» أنه لا مفر من المواجهة، وفي تلك اللحظة التي استعد فيها لثني ذراع الرجل أو توجيه ضربة برأسه في وجه انطلق صوت من المكبر الصغير المعلق على البوابة يقول:

«خلوه يدخل ... الباشا عايزة»

هنا رفع رجل الحراسة يده وأشار بها للرائد» إسماعيل يسري» متمتمًا:

«اتفضل»

قالها الرجل وتحرك أمامه فتنهد «إسماعيل» في داخله وهو يسير خلف الرجل حتى مر من البوابة. كان المكان يوحي بالثراء الفاحش بكل معاني الكلمة رغم رجال الحراسة الذين ينتشرون في كل مكان، فأمامه مباشرة كان هناك مبنى مكون من طابقين أمامه حديقة كبيرة في الجانب الأيمن منها وضع أنتريه شيك مرصع بماء الذهب ليتماشى مع نفس لونه الذهبي كأنه صمم خصيصًا لهذا المكان، وأمامه طاولة عائلية كبيرة بجوارها شواية كبيرة كالتي توجد في المطاعم الشهيرة صنعت من الطوب الحراري وتأخذ تقريبًا مساحة الستة أمتار.

بينما في الجهة الأخرى كان مسبح كبير على شكل قلب ثبت في مقدمته نافورتان على شكل أسدان تنساب المياه من فمها بطريقة رائعة وجذابة كان المكان رائع بحق يلهب قلبك.

دخل «إسماعيل» للطابق الأرضي من الفيلا بصحبة الرجل ليجد أفخم قطع الأثاث باهظة الثمن وتنم على الذوق العالي لصاحبها، ثم وقعت عيناه على «عزيز» الذي كان يجلس على كرسي خشبي أنيق وإحدى قدميه فوق الأخرى بينما يمسك سيجاره الكوبي الفاخر في يده وقد بدء يتفحصه بعيناه من أعلى رأسه حتى أخمض قدميه.

أخيرًا تحدث بصوته الجوهري قائلاً بعجرفته المعهودة:

«مين حضرتك بقى؟»

أجاب الرائد «إسماعيل» ببرود وهو يتخيل أنه يطبق على عنق ذلك القاتل الذي سلبه أقرب الأقربين:

«هم مش رجالتك بلغوك؟»

هز «عزيز» رأسه بعصبية مجيبًا:

«أيوه، بلغوني أن في واحد نصاب أو حرامي جاي ينتحل شخصية موظف عندي»

ابتسم رجل الشرطة بسخرية وهو يجيب «لا الحقيقة أنا ميشرفنيش إني أكون واحد من موظفينك يا ... عزيز»

هنا قام الأخير من مكانه صائحًا في وجه «إسماعيل» «أنت أتجننت يا ولد ... أنت مش عارف بتكلم مين؟»

هنا أعتمد رجل الشرطة على عنصر المفاجأة كما تعود في عمله أذ فجأة ضرب رجل الحراسة الواقف خلفه بمرفقه الأيمن في وجه ثم ركض نحو «عزيز» والتف خلفه بسرعة رهيبة لا تتناسب مع جسده المرهق وألآمه الكبيرة ثم أمسك عنق «عزيز» بساعده الأيسر بعدما أخرج سلاحه وألصقه برأسه.

كانت مفاجأة غير متوقعة ذات ردة فعل سريعة من جانب رجل الشرطة لكن رجال «عزيز» أفاقوا منها أخيرًا وأخرجوا أسلحتهم ثم صوبوها نحو «إسماعيل»

وبخوف وقلق عارم قال «عزيز مراد»:

«أنت بتعمل أيه يا مجنون؟ أنت كده هتموت نفسك»

أجابه «إسماعيل» بكل غضب الدنيا وقد تشنجت عضلات جسده من كثرة الانفعال «مش هتفرق أنا كده كده ميت بعد ما قتلت أمي وأختي وحماتي، بعد ما رجالتك دبحوهم بدم بارد» ثم شد عصب يده أكثر على عنق «عزيز» الذي تأوه وشعر باختناق كبير وأكمل قائلاً:

«ودلوقتي أنت خاطف مراتي ولو ماتت هتموت أنت كمان»

اتسعت عيني رجل الأعمال الفاسد وهو يقول بصعوبة:

«هو أنت الضابط إللي .....»

قاطعه «إسماعيل» وهو يصرخ عاليًا

«أيوه أنا الضابط اللي حاول يكشف أسطورتك المزيفة ويوقف تجارتك المشبوهة يا عزيز، تجارتك إللي بتقتل بيها شباب كثير في البلد، أنا الضابط إلى كان عايز ينظف البلد من أمثالك من تجار السموم والفاسدين اللي بيستغلوا مالهم ونفوذهم في أعمالهم المشبوهة»

ابتلع الرائد «إسماعيل» ريقه بصعوبة وقد شعر بنفاذ قوته أخيرًا بعد تلك الحادثة التي خرج منها سليما بفضل اللّٰه وذلك اليوم العصيب الذي شهد صراعات قوية لإنقاذ أهم إنسانة في حياته، لكنه أكمل على أية حال وقد تضاعف غضبه آلاف المرات:

«وكان التمن أنه خسر أعز الناس إليه»

هنا دوت صرخة عالية من مكان ما، أنها صرخة «نادية سليمان» زوجة «عزيز» التي سمعت صوتًا مريبًا يأتي من الطابق الأرضي يتبعه صياح زوجها فنزلت من الطابق الثاني من الفيلا لترى زوجها في هذا المشهد المريع.

«عزيز ..... أيه ده؟ أيه اللي بيحصل ومين ده؟ ...... وأنتوا واقفين كده ليه اعملوا حاجة»

قالتها السيدة وهي تقف على حافة السلم الداخلي للفيلا فصاح «إسماعيل» بعصبية:

«اخرسي .... مش عايز أسمع صوتك»

أطبقت السيدة فمها من الخوف في حين تحفزت أصابع الرجال على أسلحتهم لكن «إسماعيل» صاح فيهم عاليًا:

«خطوة واحدة وهفجر رأسه .... قول لرجالتك يبعدوا أحسن يا عزيز» وبكل الخوف والرعب صرخ الأخير في رجاله:

«ابعدوا ...... ابعدوا»

تراجع الرجال في حين قال رجل الشرطة آمرًا أياه:

«دلوقتي بقى هتتصل برجالتك وتخليهم يجيبوا مراتي هنا وبسرعة» «حاضر ..... حاضر هتصل بيهم»

ثم ابتلع «عزيز» ريقه بصعوبة وأكمل متوسلاً:

«مراتك حتعيش ... أوعدك ... بس سيبني»

صرخ «إسماعيل» في وجه

«اتصل بيهم ... بسرعة»

«عايز تليفوني»

صاح الرائد في الرجال

«هاتوله تليفونه ... يالا بسرعة»

تحرك أحدهم وانحنى بالقرب من «عزيز» والتقط الهاتف الذي سقط منه عندما باغته «إسماعيل» بهجومه ثم ناوله إياه، وأمسك الرجل الهاتف وتعلقت عيني «إسماعيل» بأصابع الرجل التي تتحرك بعصبية على شاشة الهاتف بينما عيناه تراقب الرجال بين الحين والآخر و ...

ودوي صوت رهيب في المكان صوت جعل الجميع يفزع وينتفض كلا في مكانه بينما تتجه العيون كلها نحو مصدره، وصرخت زوجة «عزيز» بصوت عال وسرت إرتعاشة كبيرة في جسدها.

لكن الصوت لم يكن داخل الفيلا بل خارجها لقد دخلت سيارات نصف نقل تتقدمها سيارتان عملاقتان من نوعية «الهامر» وأطاحتا ببوابة الفيلا وأجساد رجال الحراسة الواقفين عليها.

وتحركت السيارات في كل صوب بينما بداخلها كان هناك رجال يرتدون زي البدو حاملين مدافع آلية ويطلقون رصاصاتهم في كل صوب لقد بدأت معركة كبيرة الآن، لكنها ليست في التوقيت المناسب أبدًا ولن تنتهي إلا بموت أحد الفريقين.

●●●

انتشرت سيارات الشرطة والإسعاف في شارع «ألبرت الأول» بمنطقة سموحة، وتجمع المارة وسكان الحي بعدما وصلت لمسامعهم أخبار تلك المذبحة البشعة وتلك الجثث التي وجدت مذبوحة في منزل أحد ضباط الأمن.

وفي أسفل العقار وقف النقيب «أحمد بدراوي» مع عدد من زملائه من ضباط الشرطة ومساعديه يتابعان الموقف وما يفعله رجال الإسعاف من نقل الجثث ثم صعد بعدها ليرى عمل رجال البحث الجنائي الذين انتشروا في المنزل يتفحصون كل شيء أمامهم ويرفعون البصمات.

«تم إبلاغ القيادات ومساعد وزير الداخلية وصدر قرار بالقبض على – عزيز – ورجاله وعربيات الأمن المركزي رايحة على فيلته دلوقتي»

نطقها أحد الضباط موجهًا حديثه للنقيب «أحمد» الذي سيطرت عليه الصدمة والحزن معًا فأومأ رأسه ثم عادت عيناه

لشرودها مرة أخري، لقد كان على حق منذ البداية، لقد شعر أن هناك خطبا ما عند الرجل وكل شيء يؤكد ذلك، مقابلته معه خارج مكتبه والأوراق التي طلبها وخروجه فجأة من المستشفى، كل شيء يؤكد أن هناك خطرًا ما يلاحقه.

لكن الأهم الآن أين هو في تلك اللحظة؟ وهل مازال هناك وقت للحاق به ومساندته أم أن الوقت قد فات؟

نظر في ساعته ليجدها الخامسة والنصف أي أنه لم يتبقَ على ذلك الميعاد الذي حدده الرائد «إسماعيل يسري» ألا نصف ساعة فقط

نصف ساعة ويبدأ المشهد الثاني من عملية الذبح البشعة

●●●

صرخة مدوية أطلقتها زوجة «عزيز» وسط الطلقات النارية التي ملأت المكان كانت صرختها الأخيرة فقد اخترقت إحداها رأسها لتلقي بها من فوق السلم الداخلي للفيلا ويتدحرج عليه ليستقر أسفله ساكنة.

وسقط جسدي «اسماعيل» و «عزيز» أثر اندفاع الأول بصورة تلقائية في حين تبادل رجال الثاني إطلاق النيران مع رجال البدو من خلال نوافذ الفيلا بينما في الخارج وقفت

السيارات بجوار بعضها ومن داخلها أطلق رجال البدو جام غضبهم. واخترقت الرصاصات جدران الفيلا واخترقت الكثير من الأجساد أيضًا وسقط الكثير من كلا الفريقين كان أكثرهم من رجال «عزيز».

ثم بدأ رجال البدو النزول من سياراتهم والاقتراب من الفيلا أثناء إطلاقهم النيران، فهذا هو هدفهم، هذه مهمتهم التي جاءوا من أجلها تصفية الحسابات ... وتصفية «عزيز» ورجاله.

وبالداخل صرخ رجل الأعمال في رعب كأنه طفل صغير يهرب من العقاب:

«أنا مش عايز أموت .... أنا مش عايز أموت»

لقد نسي الرجل المريض بداء العظمة أن كل من في الكون زائل، وخاصة نحن البشر فلم يعمل لآخرته ولقاء ربه وظل يجمع الأموال من أرواح الشباب الذين يموتون من أثر تلك السموم التي يبيعها إياهم، ولكن دائما ما يكون الجزاء من جنس العمل.

كان «عزيز» ممددًا على وجهه ويحمي رأسه بكلتا يديه من شدة خوفه فهو حتى لم يفكر لحظة واحدة في زوجته التي

فارقت الحياة للتو بينما أخرج «إسماعيل» مسدسه واتخذ موقف الدفاع خلف الكرسيِّ الخشبي الوثير الذي كان يجلس عليه «عزيز» قبل أن تبدأ المعركة.

ورأى «إسماعيل» رجال «عزيز» يتساقطون الواحد يلو الآخر فأمسك الأخير بعنف من عنقه وصاح فيه وسط النيران التي تنطلق في كل مكان حولهم «فين مراتي يا عزيز؟ انطق فين مراتي؟»

لكن الأخير قد انتابته نوبة هلع ورعب مما يحدث حوله فدفع يديه وعاد يدفن وجهه أرضًا وهو يصرخ من الخوف «سيبني أنا مش عايز أموت ... أنا مش عايز أموت»

نظر له «إسماعيل» باستحقار كبير وهو يتكئ بظهره على ظهر الكرسي وتذكر عجرفته في الحديث منذ قليل، هنا ووسط هذه الحرب الشعواء خشي «إسماعيل» أن يفقد آخر أمل لديه في انقاذ زوجته وهو «عزيز» نفسه

لذلك ورغم كل الغضب والكره وروح الانتقام التي تملأ قلبه نحو ذلك الشخص القاتل البغيض ألا أنه تحرك لإنقاذه فورًا أو بصحيح التعبير لإنقاذ زوجته، فاندفع «إسماعيل» نحوه وبدأ يجذبه إليه صارخًا:

«قوم معايا ...... متخفش...... قوم»

ومن شدة خوفه أطاع «عزيز» الأمر على الفور وزحف معه ليختبئ مع «إسماعيل» خلف الكرسي الخشبي الكبير لكن وفى تلك اللحظة كان قد دخل ثلاثة من رجال البدو بعدما قتلوا رجال الحراسة في الخارج والذين تمددت أجسادهم على أرضية الحديقة الكبيرة بينما سقط اثنان منهم في البسين بينما لطخت دماؤهم المكان.

أطلق رجال البدو رصاصاتهم بشراسة كبيرة ثم لمح أحدهم «عزيز» وهو يزحف ليختبئ فصوب سلاحه وأطلق رصاصاته لتخترق جسد رجل الأعمال الفاسد الذي أصبح كالمصفاة، هنا زاد غضب «إسماعيل» وأخرج جام غضبه في صرخة عالية وهو يطلق النيران بدوره لتصيب رصاصاته أحد رجال البدو الثلاثة الذين يقفون أمامه عند مدخل الفيلا فسقط صريعًا بينما انهال الآخران عليه بوابل من الرصاصات لتخترق أحداها جسد «اسماعيل» الذي أطلق صرخة ألم عالية وسقط مكانه.

هنا توقف الرجال عن أطلاق النار وخرجا سريعًا ليقفزا داخل إحدى السيارات التي انطلقت خارج المكان، لقد انتهت المهمة وتم تنفيذ حكم الإعدام بنجاح.

●●●

تصارعت الأفكار في عقل «شيري» ابنة «عزيز» وهي تقود سيارتها عائدة إلى فيلتها في منطقة «كفر عبده» بالإسكندرية حيث تقطن مع أسرتها، ولطمت عقلها أفكار كثيرة كموجات بحر عاتية تلتحم مع صخور الشاطئ في صراع قوى مألوف بينهما.

تساءلت في قرارة نفسها بقلق عارم داعبت أصابعه قلبها الصغير

هل حقًا ما أخبرتها به صديقتها في الجامعة؟

هل والدها متورط في أعمال غير مشروعة؟

هل تم ذكر اسمه بالفعل في بعض القضايا منذ عدة أشهر؟

زفرت بقوة بينما اعتصرت الأفكار عقلها الصغير الذي لم يدرك حقيقة توارت عنه منذ زمن بعيد.

انحرفت بسيارتها داخل طريق فرعي تتواجد به فيلتها لكنها سمعت صوت طلقات تدوي بصدى مخيف جعل قلبها يقفز بين ضلوعها لكنها لسبب ما ربما خوفها أو شيء آخر لا تعلم عنه ضغطت مكابح الوقود أكثر لتقترب بسرعة من بوابة الفيلا ويزاد صوت الرصاص أكثر مع مضيها حتى انحرفت بغتة نحو البوابة التي رأتها مفتوحة على مصراعيها وقد تحطم جزء منها من قوة الاندفاع.

وما أن عبرتها الفتاة بسيارتها حتى ضغطت مكابح الفرامل بقوة لترى أبشع مشهد أمامها يمكن أن تراه في حياتها، سيارات جيب سوداء بداخلها رجال يرتدون زي البدو ويمسكون بأيديهم أسلحة نارية كان لرصاصتها أثر كبير على الفيلا التي خسرت كثيرًا من معالم الذوق الراقي في وجهتها.

بينما على أرضية الحديقة تناثرت جثث رجال الحراسة الخاصة بوالدها وبينها بعض الجثث من هؤلاء البدويين والدماء تسيل منها في مشهد يثير الغثيان، هنا لم تجد الفتاة إلا صوتها الذي أطلقت له العنان عبر صرخة مدوية وهي تمسك رأسها غير مصدقة ما تراه عيناها الآن.

وعلى أثر صوتها التفت رجال البدو إليها ثم أخرجوا أسلحتهم من نوافذ سيارتهم وأطلقوا رصاصاتها نحو الفتاه المسكينة بلا تمييز فاخترقت الرصاصات النارية جسد السيارة وحطمت زجاجها في دوي رهيب لتخترق جمجمة الفتاه وصدرها وعنقها أيضا فمال جسدها في الحال على المقعد المجاور لها وقد خرجت روحها لبارئها دون ذنب.

لقد كانت الفتاة أحد ضحايا الجشع والطمع اللذين يعميان القلوب لقد كانت الفتاة البريئة أحد ضحايا المذبحة البشعة لذلك اليوم الرهيب والدموي.

●●●

نظر «أمجد» في ساعته وهو يقف في ذلك المكان الموحش المخيف ثم نظر نحو الباب الحديدي الكبير الذي يأخذ واجهة المكان بأكملها، نظر للأمطار الخفيفة التي تتساقط بهدوء كأنها قطيع من الغزلان تتجرف نحو الهاوية في مشهد سينمائي بطيء، لا يعلم لماذا عادت به ذاكرته لسنوات مضت، إلى وقت تذكر فيه ذلك الشخص الذي دفنه بداخله مدى الحياة قبل أن يعتاد الأجرام وطريق الشر.

لقد كان جندي في قوات الصاعقة المصرية أثناء تأدية الخدمة العسكرية وقد كان مثال يحتذى به من قبل قادته في الجيش المصري لكنها تلك المعضلة أو النكسة كما يجب تسميتها هي ما قد غيرت حياته إلى الأبد، تلك الإنسانة التي أحبها بجنون وتمنى أن يعيش أبد الدهر بجوارها لكن ظروفه المادية هي ما منعته من تحقيق حلمه خاصة بعدما تم رفضه من قبل والدها عدة مرات حتى أنه تذكر عندما توسل إليه في إحدى المرات ليزوجه أبنته لكن الرجل قد قام بطرده من منزله، لن ينسى ذلك اليوم أبداً طوال ما حيي ولم تمر أيام بعدها حتى فوجئ بخبر زفافها من أعز أصدقائه والذي كان يعيش في حياة البزخ من تلك الأموال التي يرسلها والداه له من إحدى دول الخليج حيث يعملان هناك ليوفرا له حياه كريمة، نسي «أمجد»

في ذلك اليوم أن لكل مجتهد نصيب وأنك عندما تخسر أولى الجولات في حياتك ليس هذا معناه نهاية العالم بالنسبة لك، إن أشهر العصامين بدأوا حياتهم بالفشل ودروبات الحياة التي تعلموا منها تفادى الأخطاء وأسباب النجاح.

ومنذ ذلك اليوم أصبح «أمجد» وحش كاسر يبحث عن أسرع الطرق لتحقيق المال حتى لو كانت غير مشروعة لذلك قد جاء له «عزيز» وتجارته المسمومة بمثابة كنز يحقق منه كل ما يريد، فبعد عامه الأول استطاع الشاب امتلاك شقة في إحدى الأحياء الفخمة والهادئة في الإسكندرية أضافة إلى سيارة من أحدث الموديلات.

تذكر كيف كان اهتمام «عزيز» أيضًا به فقد رأي فيه قلب ميت لا يقبل الاستسلام، قلب ماتت بداخله كل مشاعر الإنسانية، فتمسك به أكثر وجعله ذراعه الأيمن والآمر الناهي بعده لأنه رأي فيه وحش كاسر ينفذ أي شيء مقابل المال وهذا بالطبع ما يريده «عزيز» تمامًا وهذا ما يريده عمله.

ثم توقف عقله عن ذلك المشهد الدموي، المرة الأولي التي يسفك فيها الدماء فقد كان مشهد انتقامه من حبيبته السابقة وزوجها، عاد يبحث عنها فعلم بأنها بصحبة زوجها يحتفلان بعيد زواجهما في مدينة الغردقة فذهب خصيصا بعد أن علم

بالمكان الذي اشتراه زوجها لها، وفي الليل وأثناء نومهما تسلل «أمجد» إلى غرفة النوم وأيقظ حبيبته ثم كمم فمها وربط يديها وقدميها بجوار فراش النوم، وعندما استيقظ الزوج على صوت مريب يحدث في الغرفة أمسكه السفاح بقوة وظل يضرب فيه بقوة حتى سالت الدماء من وجه الزوج وأغرقت ملابسه ثم وببرود متناهي ذبحه

ذبح الزوج أمام زوجته وقتها استيقظت الفتاة الصغيرة ذات السبعة أشهر وأخذت تبكي فذهب «أمجد» لإحضارها ووضعها بجوار والدتها ثم أشعل النيران في المنزل وسط استغاثات الأم وبكائها. وبالطبع ورد ذكر أسمه في التحقيقات وكان المشتبه الأول فيها لكن نفوذ «عزيز» والشهود الزور الذين أحضرهم لشهدوا بان «أمجد» وقتها كان في صعيد مصر يتمم إحدى الصفقات لمحصول قصب السكر أخرجته من تلك القضية التي أويدت ضد مجهول.

ذكريات عبثت بعقله جعلته يتنهد بقوة، لم يريد تذكر كل هذا لكنها هي السبب في ذلك، هي ما جعلته يتذكر هذه المواقف المؤلمة بالنسبة له هي «نورا» زوجة الضابط التي تشبه كثيرًا حبيبته الأولى تشبهها لحد كبير، لقد عاد الزمن به مرة أخرى فماذا يفعل؟

لا

لن يخطئ مرة أخرى

لن يرحمها

لابد من تنفيذ أوامر سيده

لابد أن تموت

لابد

أمسك هاتفه وقرر أن يتصل «بعزيز» ليخبره ماذا سيفعل؟

هل يحصلون على أموالهم وبضاعتهم أم يبدأ الجزء الثاني من عملية الذبح.

●●●

انبعث صوت شخص يتأوه داخل فيلا «عزيز»، صوت أتى من وسط تلك الجثث والدماء التي رسمت مشهد معركة دموية رهيبة عكست صراعات بين جيشان متلاحمان، تحرك «اسماعيل» واعتدل ليجلس في مكانه ثم تحسس ذراعه الأيسر التي أصابته رصاصة غادرة، لقد كتب له الله عمرًا جديدًا، لقد أعطاه فرصة أخرى للحياة حتى يتسنى له انقاذ زوجته الحبيبة. قام من مكانه بصعوبة بالغة حتى كان أشبه بكهل

قد سلبته الحياة ما تبقى من عافيته، أمسك ذراعه التي اكتساها الألم ونزفت الدماء منها وهو يزفر بقوة لكنه فجأة قرر التغاضي عن ألآمه ودمائه ليكسب ما تبقى له من الوقت.

اقترب من إحدى جثث رجال «عزيز» وانتزع سترته التي لم تمسها الدماء ثم انحنى مرة أخرى وقطع جزءًا من قميصه ثم تركها بجوار سترة الرجل واتجه صاعدًا درجات السلم الخشبي حتى الطابق الثاني. دخل الغرف جميعها حتى وصل لمبتغاه فها هي غرفة نوم «عزيز» وزوجته، دخلها واقترب من المرآه الكبيرة ليجد أسفلها بعض زجاجات العطر الصغيرة

«آآآآآآه»

تأوه «إسماعيل» وهو يتألم من وضع هذه المادة الكاوية للجروح «المطهرة» ثم أمسك إحدى المناشف ليمنع تدفق الدم للخارج وظل هكذا حتى نزل للطابق الأرضي ثم تركها وأمسك قطعة القماش وبصعوبة بالغة من فرط التعب والإجهاد قام بلفها حول ذراعه ثم ارتدى سترة الرجل الميت وتحرك مغادرًا المكان لكنه لم ينسَ أن يأخذ شيئًا هامًا معه.

وعندما أصبح خارج الفيلا لمح من بعيد سيارات الشرطة والأمن المركزي تقترب من المكان فأسرع الخطى حتى توارى

عن الأنظار بينما في داخل عقله كان هناك مكان جديد يمثل له أملاً أخيرًا في انقاذ زوجته.

●●●

جالت عيني «نورا» في أركان ذلك المكان المظلم عدى الضوء البسيط الذي يتسلل عبر النوافذ العليا للسماء الملبدة بالغيوم في أعلى الجدران.

لم تكن يومًا تحلم بذلك الموقف حتى في أبشع كوابيسها

لماذا كل هذا؟

نطق عقلها بالسؤال بغتة فتناثرت الأفكار داخل جدران عقلها كمجموعة من الكرات الصغيرة تقذفها بعشوائية فتتخذ كلا منها طريقًا مختلفًا عن مثيلتها، فجأة قفزت صورة زوجها أمامها «إسماعيل»

ترى هل مازال في المستشفى أم في أي مكان هو الآن؟

فجأة ودون سابق إنذار بث عقلها الكثير من الذكريات الجميلة التي تجمعها مع زوجها، تذكرت أيام زواجهما التي قضوها في مدينة «شرم الشيخ» الساحرة داخل أحد أشهر الفنادق المطلة على الشواطئ مباشرة، ورحلة «دبي» التي

قضوها منذ سبعة أشهر تجولوا فيها بين أشهر الأماكن السياحية الرائعة مثل «برج الخليفة» الشاهق الارتفاع والذي يعد من أكبر ناطحات السحاب في العالم.

تذكرت ابتسامة زوجها الرائعة وقلبه الحنون الذي يفيض بحب يكفي العالم كله فبالرغم من طبيعة عمله إلا أنه كانفي قمة الرقى والأسلوب العاطفي معها فلم يكن غليظ القلب بل كان يعشقها ويخشى عليها لومة لائم.

أغمضت عيناها للحظات تسترجع ذكريات مضت تمنت عودتها مرة أخرى لتستمتع بها من جديد فهي الآن وفي تلك اللحظة في أمس الحاجة إليه.

إلى زوجها وحبيبها

ولكن أين هو الآن؟

●●●

«أنت بتقول إيه؟»

نطقها النقيب «أحمد بدراوي» في ذهول وهو يقف داخل مكتب مدير مكافحة المخدرات بمديرية أمن الإسكندرية والتي بدت كخلية نحل تعمل بأقصى طاقتها بعد وصول خبر عملية

الذبح الشنيعة. ونظر الحاضرين له ثم سأله سيادة اللواء باهتمام كبير وهو معقود الحاجبين:

«في إيه يا أحمد؟»

أجابه الشاب وعقله غير مصدق ما يقول:

«في مذبحة تانية حصلت في فيلا «عزيز» يا فندم والقوات لقت هناك جثث كتير مضروبة بالنار من رجالته ورجالة البدو»

«وعزيز؟»

«لقوه ميت هو ومراته في الفيلا مضروبين بالنار»

زفر مدير مكتب مكافحة المخدرات بقوة ثم أردف:

«كده اتضحت الرؤيا يا أحمد ومن الواضح أن هناك تصفية حسابات كبيرة بتحصل ولازم ندخل بسرعة لأن ده أنسب وقت للقبض على كل الخيوط دفعة واحدة»

قال النقيب «أحمد» بسرعة قائلاً:

«عشان كده يا فندم أنا بقترح عملية مداهمة سريعة لكل مقرات «عزيز» في نفس الوقت» أومأ الرجل برأسه موافقًا وهو يقول:

«جهز قوة واتحرك فوراً وأنا هعمل اتصالاتي بالوزارة» أدى الشاب التحية له وهم بالانصراف مع رجاله لكن الرجل أوقفه قائلاً:

«أحمد، مفيش أخبار عن إسماعيل؟»

حرك «أحمد» رأسه نافيًّا وهو يجيب:

«لا يا فندم»

تساءل اللواء بقلق عارم:

«القسم التقي عندنا ميقدرش يعرف مكانه؟»

«حضرتك ما هو مبيردش على التليفون ومش متصل بالإنترنت طبعًا فمش هيقدروا يعملوا حاجة»

تنهد الرجل وأشار بيده بهدوء فغادر النقيب «أحمد» ورجاله بينما نظر القائد عبر النافذة للسماء التي بدأت في إفراغ حمولتها، بينما بداخله تصارعت الأفكار كإعصار شديد ينتزع كل شيء في طريقه.

●●●

صعد «إسماعيل» إلى أحد الأبنية القديمة في ذلك الحي الشعبي بمنطقة «باكوس» حيث يقطن «فرغلي حسين» الذي

استطاع تجنيده داخل رجال «عزيز» كان يرتدي سترة الرجل الميت لتحجب جراح ذراعه المصابة بعدما قام بربطها جيدًا وبداخلها الرصاصة التي شعر معها أن ذراعه قد شلت عن العمل تمامًا لكنه يستطيع تحريكها على أية حال.

طرق الباب لتفتح زوجة الرجل الذي قتله «أمجد» خنقًا داخل الكيس البلاستيكي، كانت امرأة في منتصف الثلاثينيات خمرية البشرة ذات عيون سوداء كست ملامحها حزن كبير على غياب زوجها، لها قامة متوسطة نحيلة الجسد ترتدي ثياب رثة تمثلت في عباءة قطنية سوداء وتضع على رأسه إيشارب قماشي تعددت ألوانه.

ظل الرائد «إسماعيل» يتفرس في ملامحها للحظات مما جعلها تتمتم في خفوت يشوبه القلق وهي تنظر لشخص حالته يرثي لها «أيوه...... مين حضرتك؟»

أجابها الرجل بهدوء أنهكه تعب يوم طويل حافل بالدماء «الرائد إسماعيل يسرى من مديرية الأمن» انقبض قلب السيدة وهي تجيب:

«خير يا باشا»

«جوزك فين؟»

«معرفش ده م......»

هنا قاطع «اسماعيل» كلامها وهو يدلف لداخل الشقة ثم يغلق الباب الخشبي الذي توارت عليه السنوات في تلك المنطقة الشعبية لكنه ظل صامدا على أية حال، وتغيرت ملامح وجه ضابط الشرطة تمامًا حتى كاد أشبه بشيطان مارد، هنا فرغ فم المرآة تمامًا وهي تتساءل في خوفٍ:

«أيه يا با شاي في أيه؟»

«إنتي هتتكلمي بالذوق أحسن ما أخليكي تتكلمي بطريقة تانية، سمعتي ولا لأ ؟»

اكتسى الخوف صوت المرأة وهي تحاول عابثة الدفاع عن نفسها أثناء وقوفها أمامه «معرفش حاجه، أنا جوزي غايب بقاله أكتر من أسبوعين ومعرفش عنه حاجه والله»

بعدها أجهشت المرأة وهي تبكي من الخوف بينما تعالت صرخات طفلها الصغير الذي قام من نومه للتو يبحث عن والدته فحملته بين يديها في محاولة بائسة لبث الطمأنينة في قلبه الصغير البريء في حين نظر «إسماعيل» للطفل بإشفاق كبير لكن صوته لم يخلَ من الحزم الذي جعل المرأة ترتعد من داخلها وهو يسألها:

«قوليلي أي معلومة تعرفيها، أي حاجه تساعدنا أننا نلاقيه بدل ما يموتوه ومتشفهوش تاني»

صاحت المرآة في هلع

«إيه؟ ...... يموتوه؟ ...... هم مين دول إللي يموتوه؟»

بعصبية زائدة تسبق بركان غضب كاد أن ينفجر صاح الرائد

«اخلصي واتكلمي مفيش وقت»

نظرت السيدة له بخوف وتوتر كبير وصمتت للحظات ثم قالت:

«أنا فعلا معرفش حاجه عن شغله خالص وهو كمان مبيتكلمش معايا في حاجه، لكن قبل ما يختفي بيوم سمعته بيتكلم مع واحد في التليفون وبيقوله هشوفك في مخازن رجب اللي في سموحة»

لمعت الكلمة في عقل «إسماعيل» فهذا المكان تذكر أنه قرأ اسمه في أوراق التحريات، كيف لم يفكر فيه من قبل؟

خرج من منزل السيدة المفزوعة وغادر المكان متوجها نحو الأمل الأخير لكن فجأة جاءه الاتصال المنتظر، رقم غريب

يتصل به يختلف عن الرقم الأول الذي حدثه صباحًا قبل بداية تلك الأحداث الدموية الرهيبة فأجاب سريعًا

«ألو»

جائه صوت «أمجد» ببرود متناهي من الجهة الأخرى

«جبت البضاعة والفلوس؟»

«أيوه معايا»

قال «أمجد» بسخرية

«برافو... وطبعا جبت رجالتك معاك»

بنفاذ صبر أجابه الرجل

«أنا معيش حد، فين مراتي؟»

«وإزاى قدرت تجيب البضاعة من المديرية يا بطل؟»

«أظن دي مش مشكلتك، أنت عايز اللي يخصك وأنا عايز اللي يخصني»

طال الصمت بينما في تلك اللحظة قطعه «أمجد» بعدها قائلاً ببروده المعهود:

«تعال عند مخازن رجب في سموحة وهنتصل بيك تاني»

«بس أنا عايز أسمع صوت مرات...»

لكنه لم يستطع إكمال جملته فقد أغلق السفاح الهاتف في وجهه، زفر «إسماعيل» بقوة بعدما أغلق هاتفه، الآن علم بمكان زوجته وتبقى الجزء الأصعب في ذلك اليوم الرهيب أن ينقذها

●●●

الفصل الخامس

الجولة الأخيرة

تحت مياه الأمطار صار وحيدًا

قوة الانتقام جعلته عنيدًا

جالت عيناه يمينًا ويسارًا ليري عيون هُيئ له أنها تسخر منه، عيون تخبره أنه لن يرى زوجته مرة أخري، حاول تجاهلها ليكمل طريقه نحو هدفه.

نحو ساحة قتال جديدة ينزف فيها من دمائه التي أهدرت كثيرا في خلال الساعات الماضية ولم يهد له بال أبدًا ولن تصمت الشياطين أمام عينيه عن قرع طبول الحرب.

موقف يحسد عليه كثيرًا، بل يستحق عليه جائزة أشجع رجل في التاريخ موقف لا يتحمله بشر أبدًا، ماتت والدته التي ربته وماتت أخته الصغيرة التي رباها بعد وفاة أبيه كما ماتت المرأة التي اعتبرها بمثابة أم له فقد الكثير من الأعزاء عليه في ساعات قليلة وسيفقد أغلى إنسانة لديه إن لم يصل في الوقت المناسب.

أصدر هاتفه صوت مميز فعلم أن بطارية الطاقة قد نفذت وبعدها أغلقت شاشته تمامًا فهلع قلبه لفقدان وسيلة الاتصال الوحيدة بالمجرمين ماذا سيفعل الأن؟

أنطلق البرق يشق السماء لتتولد معه موجة كهربائية لجزء من الثانية منذرة بموجة كبيرة من الأمطار، قطرات المطر

تتساقط على وجه فشعر معها بتخفيف بسيط لألآمه وكأنها تغسل كيانه من الداخل.

وصل الآن لكوبري النصر على طريق «ترعة المحمودية» فتوقف ناظرًا حوله ثم أشار لتاكسي مارًا من أمامه فتوقف السائق بعده بخطوات حينها فتح «إسماعيل» الباب وجلس بجوار السائق وهو يقول وعيناه متعلقة بالطريق «مخازن رجب»

تحرك السائق في صمت لكسب بعض الجنيهات في حين تحسس «إسماعيل» مسدسه الميري بين طيات ملابسه وكل خلية في جسده ترتعد كل خليه شعر بها كأنها جسد منفصل تجري به دورة دماء كاملة، ومع ذلك الإحساس الذي هو خليط بين الخوف والقلق من فقدان آخر شخص في عائلته فرز الدم مادة – الأدرينالين – فشعر «اسماعيل» بأطرافه كأنها تصلبت فقل شعور الألم في ذراعه والكدمات التي تملأ جسده.

وصل للمكان المنشود في منطقة «سموحة» لكنه لم يدخل من ناحية «مول جرين بلازا» الشهير بل ذهب من جهة أخري ناحية جامعة «فاروس» الخاصة حيث الباب الثاني «لمخازن رجب» في ذلك الطريق لكن كيف سيجدهم؟

فهناك العشرات من أبواب المخازن لشركات عديدة، وكيف سيتحدثون إليه فقد أغلق هاتفه تمامًا؟ كما أنه ليس معه تلك النسخة من أوراق التحريات ليعلم مكانهم بالتحديد أذا ماذا يفعل الآن؟

ألآم كثيرة ملأت جسده بينما بدأ جرح ذراعه يسيل منه الدماء لتبلل قميصه تحت السترة الجلدية التي انتزعها من الرجل الميت. عبر البوابة الكبيرة لتلك المنطقة ليرى أبواب المخازن اصطفت على كلا الجانبين، بعضها أغلق أبوابه لانتهاء ساعات العمل إن لم يكن معظمها بينما القليل فقط منهم مازال في طور العمل.

كانت خطواته تتجلي بحذر فكلما خطي خطوة توقف برهة ليترك عيناه تكتشف المكان ببطء شديد، زادت الأمطار فتسببت كثافتها في اختفاء الأشخاص المتبقون داخل مخازنهم فبدى ذلك الطريق أمامه والتي تتراص المخازن على جانبيه كقرية مهجورة منذ سنوات فأصبح قاطنيها هم الأشباح فقط.

فجأة لمحه أمامه ..... على بعد حوالي خمسين مترًا فقط هو بنفسه أمجد ..... السفاح ذراع «عزيز» الذي هرب منه أثناء عملية المداهمة على الطريق الصحراوي والذي يخبئ زوجته هنا في ذلك المكان، رآه يخرج من أحد المخازن ويسير قليلاً موليه ظهره ليدخل إلى المخزن المجاور له.

هنا تحرك «إسماعيل» سريعًا وقد تناسى آلامه وأختبأ خلف كشك خشبي متهدم كان منذ عام واحد فقط مكتب لأفراد الأمن المسئولين عن دخول سيارات النقل الثقيل المحملة بالبضائع قبل أن يتم نقله لمكان آخر عند بوابة المكان الكبير

وما أن أطمئن من أنه لا يوجد أحد من رجاله يقفون بالخارج تحرك الضابط بحذر ليقترب من المكان الذي خرج منه السفاح، تحفز في خطواته وهو يتحسس مسدسه الميري للمرة الألف، تقدم ببطء شديد ومياه الأمطار تغرق وجه وجسده حتى اقترب من باب المخزن ليلاحظ انغلاقه عدا فتحة صغيرة تكفي لمرور شخص واحد أو اثنان على أقصى تقدير، ورغم توتره ودقات قلبه التي زادت في تلك اللحظة إلا أن عقله عمل سريعًا ليرسم ملامح ما سيحدث بعد قليل لا مفر من المواجهة

سيقاتل كل من سيجده في الداخل ... سيسفك الدماء لو أمكنه ذلك دفاعًا عن عرضه وشرفه، دفاعًا عن حياة زوجته وانتقاما لثلاثة نساء قتلن غدرًا بينما كان السبب هو أداء واجبه الوطني، لن يترك أحدهم حيًّا إذا قدر له أن يعيش، لابد أن يجد زوجته، لابد أن ينقذها وإلا كان مصيرها كسابقتها . اللعنة على ذلك الشر الكامن في صدور هؤلاء الأشخاص فقد حولوه إلى قاتل بدلاً من رجل الأمن الذي يؤدي واجبه، فكم من روح أزهقت اليوم، وكم من روح صعدت لبارئها نتيجة رصاصة

غادرة، لو شهد التاريخ ذلك اليوم فبالطبع لصنفه كأكثر الأيام بشاعة في تاريخ البشرية.

في تلك اللحظة عزم أمره سيجد زوجته بأي ثمن كان ... ولن يفرقه عنها إلا الموت فقط.

أخذ نفسًا عميقًا ونظر للسماء مناجيًا ربه أن يعطيه القوة وأن يكون معه كما كان معه في كل وقت في دفاعه عن مصر ضد كل الخاربين من قبل.

بخطوات ثقيلة عبر البوابة الحديدية ودخل المخزن الكبير الذي كان طوله يتعدى المائة متر بينما عرضه تجاوز الثلاثين مترًا تقريبًا تراصت بداخله مجموعات كبيرة من ألواح الأخشاب بالأطوال المختلفة بينما هناك أيضًا صناديق كرتونية كبيرة وضعت على قواعد خشبية تأخذ شكل المربع وترتفع عن الأرض بحوالي متران.

«أيوه يا أستاذ عايز حاجة؟»

نطقها أحد الرجال وهو يخرج من مكتب صغير على يمينه فالتفت إليه «إسماعيل» مجيبًا بهدوء حاول معه بكل قوته أن يتمالك أعصابه حفاظا على حياة زوجته الحبيبة «أنا الباشا باعتني علشان صناديق البضاعة دي»

قالها وهو يشير نحو الصناديق الكرتونية فتساءل الرجل بريبة:

«باشا مين؟»

«عزيز باشا»

«وأنت مين؟ أنا أول مرة أشوفك»

أجابه «إسماعيل» بكل هدوء

«أنا من أمن الفيلا، ممكن تتصل بأستاذ – محي – تتأكد منه»

قال الرجل بشك كبير:

«وليه نتصل بأستاذ محي ما هو أمجد باشا موجود هنا»

قال الرائد «إسماعيل يسري» بثقة مصطنعة

«تمام تقدر تناديه لحد ما نشوف نعمل إيه في آخر صندوق ده»

عقد الرجل حاجبيه وهو يتمتم بريبة:

«الصندوق الأخير؟ ... بس الصناديق دي فاضية»

كان «إسماعيل» يريد كسب الوقت حتى يستطيع الوصول لآخر المكان بحثًا عن زوجته ولكن حيلته تلك لم تفلح مع الرجال لكنه قال على أية حال بهدوء «ما أنا عارف أنها فاضية لكن .....» «أهلا يا سيادة الرائد»

انطلقت الجملة من فم «أمجد» الذي وقف عند الباب الحديدي الكبير بينما انطلق البرق خلفه في السماء فأضاءها لجزء من الثانية فبدا الرجل كأحد الوحوش في أفلام الرعب الأمريكية.

قال «اسماعيل» ببرود بعدما رأى الرجال الذي خرجوا من المكتب الصغير يتراجعون أمامه بعدما علموا بشخصيته المزيفة:

«فين مراتي ياأمجد؟»

نظر الرجل إليه بنظرة ثاقبة بينما ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة وهو يجيب «فين البضاعة؟»

«البضاعة هنا والفلوس كمان بس أشوف مراتي الأول»

ضحك «أمجد» بسخرية بعدها أخذ نفسًا عميقًا ثم زفره بقوة وهو يدير وجه وينظر لمياه المطر التي اشتدت في تلك اللحظات وكأنها تدخل في حرب شرسة مع الأرض الصامدة أمام طلقات المياه القاسية

ثواني قليلة مرت عاد «أمجد» بعدها ينظر للرائد «إسماعيل يسرى» بهدوء عجيب لا يتناسب مع الموقف بينما كان يمط شفتيه أردف:

«أنا كنت عارف ومتأكد أنك مستحيل هتخالف طبيعتك كرجل أمن وتدينا المخدرات والفلوس بس الغبي اللي إحنا شغالين معاه مغرور جدًا وفاكر أنه يقدر بنفوذه يتحكم في كل حاجة»

نظر الرجال لبعضهم مستغربين حديث السفاح بذلك الشكل عن رب عمله بينما كان «إسماعيل» يريد نسف رأسه بطلقة واحدة من شدة غضبه الذي يملأ قلبه الآن، تذكر مشهد الجثث الثلاثة المذبوحة وتخيل «أمجد» وهو يذبحهن الواحدة تلو الأخرى كالخرفان الضعيفة التي لا تستطيع المقاومة وتركز هذا المشهد أمامه بصورة كبيرة كأنه شريط سينمائي يعرض أمامه بصورة بطيئة استفزازية «فين مراتي يا أمجد؟»

نطقها رجل الشرطة وهو يضغط على كلماته بينما ظلت السخرية تعتلي وجه الأخير وهو يجيب:

«وإزاي عايز تأخذ مراتك وأنت مجبتش بضاعتنا وفلوسنا؟»

هنا أجابه الزوج المجروح بغضب كبير وبرود متناهي:

«أخذها وأنتوا عايشين أحسن ما أخذها وأنتوا ميتين يا أمجد» في تلك اللحظة وبعد جملته الأخيرة ارتفعت ستة مسدسات في وجه بينما خلفها وقف «أمجد» يضحك بسخريته المعهودة وقال آمرا رجاله:

«استتوا يا رجالة، سيادة الضابط ضيف عندنا ولازم نكرمه»

خفض الرجال أسلحتهم بينما «إسماعيل» يقف أمامهم كتمثال صخرى غير مبالي بشيء بينما عيناه تتعلق فقط بالسفاح الذي قال بنفس السخرية:

«إيه رأيك يا سيادة الرائد تحب تشوف مراتك بتتدبح قدامك زى ما دبحت أختك وحماتك وأمك؟»

هنا لم يستطع الرجل أن يتحكم في أعصابه أكثر من ذلك وزاد ضغط الدماء في جسده ثم أخرج كل غضبه في صرخة كبيرة دوت مع صوت الرعد في السماء:

«لألالالالا»

وبتلقائية أمسك قطعة من الخشب كانت موضوعة على إحدى الصناديق الكرتونية بجواره وقذفها نحو «أمجد» فتراجع الرجال بغتة من هذه الحركة المفاجئة بينما قفز «إسماعيل» خلف إحدى مجموعات الأخشاب الكبيرة وأخرج مسدسه معلنًا بداية المعركة.

●●●

وقف حارس أمن البوابة الرئيسية لشركة «عزيز» الاستثمارية في منطقة «لوران» ينظر لمياه الأمطار الغزيرة التي نزلت كرصاصات

نارية على سطح الأرض التي لم تستطع إلا أن تتخذ موقف الدفاع فقط وهي تصد تلك الهجمات في لامبالاة فبدا المشهد أمام عيني الحارث كساحة حرب شعواء بين الماء والصخر.

ارتشف الشاب العشريني آخر رشفة من كوب من شاي ساخن قد أعده لتدفئة معدته في ذلك المناخ البارد.

«شكلها ليلة طويلة»

نطقها الحارس الشاب وهو يتنفس بعمق خاصة بعدما تلقى اتصال من زميله الذي اعتذر عن الحضور تلك الليلة لمرضه الشديد، فجأة ووسط ذلك المناخ الذي يلزم خلاله الناس منازلهم ظهرت أمامه أربع سيارات للشرطة قادمة من أول الطريق وتقترب نحوه مباشرة ثم توقفت أسفل بوابة الشركة ونزل منها رجال الشرطة بصحبة النقيب «شوقي حسن» والملازم «محمد رفاعي» واتجهوا مع بعض رجالهم نحو الحارس الذي قال بتوتر:

«أيوه يا فندم تحت أمرك؟»

أجابه النقيب المصاحب لتلك القوة بحزم كبير:

«معانا أمر بتفتيش الشركة يا ابني، معاك مفاتيح المكاتب اللي هنا؟»

أجابه الشاب وقد تضاعف توتره:

«أي ... أيوه»

قال الضابط آمرًا

«تعالى افتحلنا بسرعة»

ولم يُضيِعَ الشاب الوقت فأسرع لتنفيذ الأمر فورًا، وعبر بهو الشركة سار الملازم أول «محمد رفاعي» بصحبة النقيب «شوقي حسن» وبعض أفراد الشرطة من العساكر يصحبهم حارس الأمن المذهول والتي ملأت الدهشة خلجات وجهه الرفيع، فهذه أول مرة يرى الشرطة متواجدة هنا بهذا الشكل المريب رغم مرور عام ونصف على عمله في هذا المكان الذي من شدة رهبته شعر الحارس الشاب أنه يعمل داخل جهاز «الأمن الوطني» لكن هذا الخيال قد تبدد الآن نهائيًّا.

صعد النقيب «شوقي» مع مساعده والحارس يتبعه اثنان من العساكر بينما الآخرون اكتفوا بانتظار الرحلة الثانية عبر المصعد إلى الطابق الخامس والأخير حيث مكتب رئيس مجلس الإدارة وصاحب الشركة «عزيز مراد»

بناء على طلب رجل الشرطة الذي قرر أن يبدأ جولته بمكاتب أكبر الموظفين بالشركة وعلى رأسها صاحبها، دلف

الجميع إلى ممر تجاوز عرضه الثلاثة أمتار بينما امتد طوله لحوالي عشرون مترًا تتراص على جنباته مكاتب كبار الإداريين تفترشه سجادة حمراء ذات فرو سميك خطى على حوافها شريطان باللون الأصفر بطول السجادة مما زاد من جمالها.

«افتح هنا»

نطقها «محمد رفاعي» بلهجة حادة آمرًا الحارس الذي تمنى لو أنه لم يأتِ في ذلك اليوم العصيب وتمنى أن يتواجد مكانه في ذلك الموقف أحد زملائه الذين ينتشرون في بهو الشركة بينما ظل هو وحيدًا في ذلك المكتب الصغير لمدخل الشركة الكبيرة التي تتكون من خمس طوابق تمتلئ جميعها بمكاتب الإداريين من المحاسبين والمحامين وغيرهم من العاملين في هذا الصرح الكبير.

أخيرًا استسلم الحارس للرغبات رجل الشرطة وامتدت أصابعه المرتعشة تعبث بسلسلة مفاتيح حصل عليها من خزانة رئيس الحرس داخل بهو الشركة والتي فتحها بمفتاح آخر كان نسخة طبق الأصل من المفتاح الرئيسي الذي بحوزة رئيس طاقم الأمن للشركة، نسخة متواجدة لحالات الطوارئ مثل تلك التي يعيشها الآن.

أخذ يدخل مفتاح تلو الآخر في رتاج الباب حتى سمع الجميع صوت تكة صغيرة أعلن الباب وقتها الانصياع الكامل لأوامر الحارس ورجل الشرطة الذي دلف مع الشاب بعدما ضغط الأخير مفتاح الكهرباء لتضيء الغرفة كاشفة عن مكتب وثير وضعت عليه أدوات مكتبية كثيرة كان من بينها تلك التي أوضحت اسم صاحبه ومهنته داخل الشركة

❖محمود حامد ❖ رئيس الشئون القانونية

اندفع الحارسان بسرعة كما تعودا أن يفعلا في تلك المأموريات التي يخرجان فيها دائمًا وأخذا يجولان بسرعة داخل المكتب ويبحثان وسط محتوياته في حين تساءل النقيب «شوقي حسن» قائلاً:

«فين مكتب عزيز؟»

أجابه الحارس متلعثمًا «في آخر الممر يا باشا»

الضابط بلهجة آمرة «تعالَ افتحه»

«حاضر»

تحرك الرجل مع الحارس المرتجفة أوصاله اللي نهاية الممر الذي قطعه في ثواني لم تكمل الدقيقة الواحدة ثم فعل الحارس

ما فعله مع مكتب رئيس الشئون القانونية حتى انفتح المكتب ودلف الجميع إليه، أضيئت الأنوار ليتطلع النقيب «شوقي» إلى مكتب وثير بالغ الرفاهية ينم عن ذوق عالي لصاحبه وتحرك بنفسه ليبدأ عمل جاء خصيصًا من أجله.

لحق به الملازم «محمد رفاعي» وانضم لهما فريق العسكر وبعد وقت طويل تعدى حوالي الثلاثين دقيقة كانت عقارب الساعة فيها تراقب ما يحدث أمامها وجد النقيب «شوقي» ضالته في مجموعة أوراق وضعت بعناية شديدة في مكان ما داخل المكتب الكبير بعدما قلب كيان المكان لحالة من الفوضى واضطر لكسر العديد من الأدراج الخاصة به.

انتفخت أدواجه وهو يقرأ هذه الأوراق بكامل تركيزه ليطالع بينها أسماء لرموز كبيرة في الوسط الاجتماعي وأصحاب نفوذ وسلطة في البلاد الآن، أوراق تدين أصحابها بالكثير وتسقط معها أقنعتهم المزيفة لقد نجحت نجحت المهمة وانتصر جانب الحق لكن هذا حتى الوقت الحالي فقط .

●●●

مع كل قطرة مطر تصطدم بالأرض تنطلق معها رصاصة نارية قاتلة تناثرت قطع الأخشاب الصغيرة في كل مكان لتصنع

معها سحابة صغيرة من الغبار والشظايا الصغير لدرجة أنها حجبت الرؤيا أمام بعض الناظرين، كان صوت المطر شديداً فمنع عمال المخازن الأخرى من سماع صوت الطلقات النارية وإن تناهي لبعضهم ذلك الصوت الذي يتخلل صوت المطر لكنه على أية حال لم يكن يملك الجرأة للخروج من مكانه لاستكشاف الأمر.

فرغ سلاح الرائد «إسماعيل يسرى» فأخرج سلاح آلي متعدد الطلقات «٣٦ طلقة» الذي أخذه من فيلا «عزيز» وراح يطلقه نحو رجال «أمجد» الذي اختفى فجأة من المكان، كانت خطوة غير مجدية إذ أن زوجته مازالت في قبضتهم لكن غضبه قد سيطر عليه بعد جمل «أمجد» الاستفزازية ولكن رغم غضبه عمل جزء ما في عقله، هذا الجزء هو ما يخص رجل الأمن وليس الرجل المنتقم فأخذ يطلق رصاصاته بحكمة ويحسن التصويب

لمح خيال أحدهم يتحرك بخفة ليختبئ بالقرب منه حتى لا يستطيع النيل منه لكن قبل أن ينجح في الاختباء تحرك «اسماعيل» بخفة وأطلق رصاصاته لتخترق أحداها رأس الرجل ويسقط جثة هامدة أمام اثنان من زملائه، ومع مشهد الدماء التي سالت من جمجمة الرجل صاح أحدهما في توتر شديد:

«لأ ... لأ ... أنـا مـش عايـز أمـوت ... أنـا عنـدي عيـال، أنـا مـش عايـز أمـوت»

شـخص فقـد ايمانـه ونسـي أننـا جميعـا سـنواجه خالقنـا العزيـز بعـد وقـت لا يعلمـه إلا اللّٰه العلـي القديـر، رمـى الرجـل سـلاحه أرضًـا في فـزع واندفـع نحـو بـاب المخـزن هاربًـا بحياتـه، لكن هيهات لـن يخـرج أحـد مـن هنـا حيـا ... هكذا قرر «إسـماعيل»

فمـا إن لمـح الرجـل يركـض نحـو البوابـة الحديديـة الكبيـرة حتـى أطلـق الطلقـات نحـوه لتختـرق ظهـره ويسـقط بالقـرب مـن بوابـة المخـزن.

سـقط اثنـان مـن أصـل سـتة أشـخاص ولكـن هـل سيسـتطيع البقـاء حيًّـا للنهايـة؟ هـل سيسـتطيع حقًـا انقـاذ زوجتـه؟ في تلـك اللحظـة دخـل رجـل آخـر للمـكان وشـاهد ملحمـة الدمـاء الحيـة ورأى جثـة الرجـل أسـفل قدميـه فأخـرج سـلاحه وجـذب درفتـي البـاب الحديـدي بقـوة ليغلـق المكان علـى الجميـع خمسـة إلـى واحد

معادلـة صعبـه بـل مسـتحيلة نتيجتهـا مـوت الفـرد، المـوت المحقـق، لكـن مـع رجـل الأمـن المـدرب قـد يختلـف الوضـع قليـلاً فقـد اعتـاد الأمـر خـلال سـنوات عملـه، اعتـاد الاشـتباك مـع معتـادي الإجـرام والخـارجين عـن القانـون في معـارك جمـة شـهدهـا هـو بنفسـه

زادت مياه الأمطار وزادت الحرب الشعواء بل احتدت بين كلا الجانبين هنا تحرك «إسماعيل» من خلف مجموعة الأخشاب ذات الأطوال المختلفة تحرك للخلف نحو الجهة الأخرى محتميًا بأطوال الأخشاب تلك التي فاق ارتفاعها الثلاثة أمتار ونصف.

بلغ التعب منه مبلغه وتجمع العرق على وجهه رغم برودة المناخ الرهيبة لكنه واصل القتال من أجل زوجته، وصل لنهاية كتلة الأخشاب ليرى مجموعة أخرى بالقرب منه فقفز نحوها محتميًّا بسرعة كبيرة لكن أحد الرجال لاحظه فصوب سلاحه نحوه لكن «إسماعيل» كان قد عبر بالفعل فضاعت الرصاصات هباءً.

تحرك رجل الشرطة بسرعة وخفة ملتفًا من حول مجموعة الأخشاب التي يحتمي خلفها ليرى في تلك اللحظة اثنان من الرجال يختبئان بالقرب منه خلف كتلة خشبية أخرى وقد نفذت ذخيرتهما فيقومان باستبدالها بخزينة رصاصات جديدة، لكن «إسماعيل» لم يُضيِع تلك الفرصة فأطلق رصاصاته نحوهما ليصرعهما معا ويسقطان مكانهما غارقان في دمائهما.

في تلك اللحظة رأى أحد الرجال وكان مختبئًا خلف إحدى الصناديق الكرتونية في مواجهتهم مصدر النيران ولمح جزء من جسد «إسماعيل» فأطلق رصاصتين نحوه لتصيب إحداه جزء بسيط من جانب كتفه الأيسر الذي يحتوي الرصاصة

محدثة جرح صغيرًا صرخ معه «إسماعيل» متألمًا وهو يسقط أرضًا فتحرك الرجل من مكانه سريعًا وركض نحو مخبأ الرائد والبطل المصري معتقدًا أنه صرعه، اقترب الرجل ببطء حاملاً سلاحه ثم قفز بغتة أمام «إسماعيل» والذي سقط سلاحه بجواره ووجه فوهة سلاحه له ثم ابتسم بسخرية قائلاً:

«مع السلامة»

وضغط الرجل زناد مسدسه ولكن لم يخرج شيئًا من فوهة سلاحه الناري فقد أصدر السلاح صوتًا رفيعًا معلنًا نفاذ الذخيرة

هنا وبسرعة البرق مد «إسماعيل» يده إلى سلاحه وأمسكه ثم رفعه موجهًا إياه إلى الرجل الذي اتسعت عيناه بفزع بعدما انقلب دوره من الصياد إلى الفريسة، ثم رد قائلاً بنفس السخرية:

«الله يسلمك»

ثم أفرغ ما تبقى لديه من رصاصات في جسد الرجل الذي انتفض أمامه للحظات قبل أن يسقط للخلف جثة هامدة، بعدها قام البطل سريعًا وهو يتأوه من قسوة الألم والدماء تسيل من ذراعه وجانب عنقه أثر احتكاك إحدى الشظايا النارية.

أصبح الوضع أكثر صعوبة فقد نفذت ذخيرته وهناك رجلين متبقيين أحدهما خلف إحدى الصناديق الكبيرة بينما الآخر يجهل مكانه، فجأة شعر بحركة ما بالقرب منه في نفس الوقت الذي ساد الصمت في المكان واختفى صوت الرصاص، صمت مهيب وكأن الجميع أعلنوا حالة الهدنة المؤقتة لتلك الحرب الشعواء

تراجع ببطء شديد وحذر إلى بداية الكتلة الخشبية التي يحتم خلفها ثم أرهف سمعه جيداً لكنه لم يسمع شيئًا، انتظر قليلاً فسمع صوت خطوات قادمة وبعدها مباشرة ظهر الرجل الثاني أمامه وهو يحاول توجيه سلاحه نحو «اسماعيل» لكن الأخير انقض عليه ممسكًا بذراعه التي تحمل المسدس الناري ورفعها عاليًا في نفس اللحظة التي أطلق الرجل رصاصته فخرجت من مسدسه لتصطدم في سقف المكان محدثة شرذًا ناريًّا.

واشتبك الرجلان معًا بقوة بينما ما زال «إسماعيل» ممسكًا بذراع الرجل التي تحمل المسدس الناري، فجأة لمح رجل الشرطة الرجل الثاني يقف بالقرب منهما موجهًا سلاحه إليهما فانقبض قلبه أكثر في تلك اللحظة التي شعر معها بالنهاية المحتومة.

●●●

كانـت «نـورا» تجلـس في مكانهـا متخـذة وضـع القرفصـاء لكـن فجـأة تناهـي إلـى مسـامعها صـوت إطـلاق نيـران ففزعـت والتصقـت أكثـر بالحائـط الـذي تسـتند عليـه، زاد صـوت النيـران فخفـق قلبهـا أكثـر وأكثـر لكـن وسـط أمـواج مخاوفهـا التـي لا تنتهـي انبعـث شـريان أمـل بسـيط أنـار ظلمـات نفسـها الحزينـة

هل وصلت الشرطة إليها؟

هـل هـذا هـو زوجهـا الـذي حضـر بصحبـة فرقـة مـن أفـراد الشـرطة بحثًـا عنهـا؟

لقـد كانـت تتمنـى دائمًـا أن تـراه أثنـاء عملـه لكـن حلمهـا كان بعيـد المنـال كمـا أنهـا لـم تكـن تتمنـى أبـدًا أن تكـون المـرة الأولـي التـي تـراه فيهـا أثنـاء عملـه في ذلـك الوقـت الـذي ينقـها فيـه، ولكـن لـم لا؟

لما لا يأتي لإنقاذها؟ أليست زوجته؟ أليست حبيبته؟

بالطبـع سـتكون في أسـعد لحظاتهـا وهــي تـراه يحـارب مـن أجلهـا، هكـذا هـي النسـاء، في كثيـر مـن الأحيـان يمتلكـن مشـاعر طفوليـة ولكنهـا جميلـة ورائعـة بالنسـبة لهـن.

انزلقـت ضحكـة صغيـرة باهتـة مـن وسـط مخاوفهـا لكنهـا تبـددت عندمـا تناهـي إلـى مسـامعها صـوت شـخص مـا يأتـي نحوهـا، إنـه «أمجـد» السـفاح

تري لماذا جاء الآن؟

هل سيقتلها؟ إنها اللعبة المفضلة إليه والتي اكتسب منها لقبه المخيف.

اقترب الوحش منها ورأت هي في عينيه نظرة لن تنساها أبدًا إذا بقيت على قيد الحياة، نظرة شر كبيرة تصحبها رغبة دموية كبيرة

●●●

لم يطلق الرجل الثاني رصاصاته خشية أن يصيب زميله وهذا ما قد استغله «إسماعيل» فجعل جسد الرجل الثاني دائمًا أمام نيران الرجل الآخر، وحاول رجل العصابة أن يصيب «إسماعيل» بسلاحه فحاول أن يميل كف يده إلى أسفل نحو صدر الأخير لكن رجل الأمن المدرب قام بحركة تعلمها في ألعاب الفنون القتالية في كلية الشرطة كانت نتيجتها ثني ذراع الرجل بسرعة نحو صدره هو في نفس اللحظة الذي أراد رجل العصابة إطلاق نيرانه نحوه لكنها أصابته هو في صدره فتحجر جسده للحظات قليلة ثم بدء في التراخي استعدادًا للسقوط.

هنا اعتمد «اسماعيل» على عامل المفاجأة كما تعود في عمله أثناء عمليات المداهمة فدفع جسد الرجل نحو الآخر

الـذي كان بالقـرب منهمـا ويسـتعد لأطـلاق نيرانـه عليـه حينمـا تحـين الفرصـة فأربكتـه هـذه الحركـة المفاجئـة كثيـرًا وهـو يمسـك بجسـد زميلـه الميت وعندمـا أفلت جسـد زميلـه ليسـقط أرضًـا رأى يـد «إسـماعيل» وهـي قادمـة نحـو وجهـه كالمطرقـة،

وتراجع رجل العصابـة مـع قـوة الضربـة ونزفت أنفـه في وقتها لكـن «إسـماعيل» لـم يعـطَ لـه الفرصـة ليسـتعيد توازنـه فباغتـه بضربـة أخـرى في معدتـه تـأوه معهـا الرجـل كثيـرًا وانثنـى جسـده للأسفل بحركـة غريزيـة ثـم ضربـه «إسـماعيل» بقدمـه اليمنـى ذراع الرجـل التـي تحمـل المسـدس فطـار الأخيـر بعيـدًا عنهمـا في نفس اللحظـة التـي التـف ضابـط الشـرطة خلـف ظهـر رجـل العصابـة وكمـا فعـل مـع «عزيـز» في فيلتـه مـن قبـل ثـم لـف ذراعـه السـليمة حـول عنقـه بقـوة شـعر الرجـل معهـا بالاختنـاق واحمـرت بشـرته بينمـا انحشـر صوتـه داخـل حلقـه وبغضـب هائـل نتيجـة بـركان ثائـر في داخـل نفسـه تسـاءل «إسـماعيل» في حـزم والشـياطين تتقافـز أمـام وجـه:

«فين مراتي؟»

لـم يجـب الرجـل في بـادئ الأمـر فخفـف البطـل المصـري ضغطتـه قليـلاً وهـو يعيـد سـؤاله

«فين مراتي بقولك؟»

أجابه الرجل بصوت مبحوح ضعيف:

«مع ... أمجد ... في المخزن الت ... التاني ... المخزن التاني» أحمر وجه الرجل من شدة الاختناق فدفعه «إسماعيل» ليصطدم رأسه بإحدى كتل الأخشاب أمامهم ثم يسقط أرضًا وهو يسعل بقوة، اتجه «إسماعيل» نحو مسدس الرجل وانحنى يلتقطه ثم التفت نحوه ليراه يحاول الوقوف لكنه لم يعطيه الوقت لذلك فأطلق رصاصة اخترقت رأس الرجل الذي ترنح للحظة واحدة ثم سقط جثة هامدة.

لقد انتهت الجولة الأولى من الصراع وسط ألآم ودماء لا حصر لها وتبقى الجولة الثانية والأخيرة في ملحمة الدماء.

●●●

أنطلق صوت الهاتف المحمول للنقيب «أحمد بدراوي» وهو يجلس بجوار السائق داخل واحدة من سيارات الشرطة التي تقود مجموعة أخري تتبعها سيارة للأمن المركزي فأجاب الرجل بهدوء:

«ألو ... تحت أمرك يا باشا»

استمع لحديث مدير مكتب مكافحة المخدرات ثم أجابه على الفور:

«تمام سعادتك، ياسر وعماد رايحين يجيبوا رجالة – عزيز – من بيوتهم وشوقي موجود دلوقتى في شركته»

انتظر قليلاً ليستمع لأوامر محدثه أردف بعدها بهدوء:

«تمام سعادتك يا باشا ... تحت أمرك ... مع السلامة يا فندم»

أغلق هاتفه وتنهد بصوت عال ثم قال للسائق بحزم:

«أطلع على مخازن رجب إلى في سموحة يا ابني»

أجاب السائق بآلية تعود عليها:

«تحت أمرك يا باشا»

بعدها تمتم «أحمد» وهو ينظر لمياه الأمطار المتساقطة على زجاج السيارة:

«بس يارب نلحق»

معك حق يا سيادة النقيب ليس المهم التوجه إلى أي مكان الآن فالأهم هو أن تجد سيادة الرائد «إسماعيل يسري»

على قيد الحياة

●●●

بدأت الأمطار تهدأ رويدا رويدا وكأنها تريد أن يحل الصمت على المكان حتى يتمكن المتصارعون من بدء الجولة الأخيرة في «صراع الموت». دخل «إسماعيل» إلى المخزن الثاني وقد أنهكه نزيف الدماء والآلام التي ملأت جسده وكثرة الصراعات التي مر بها في أقل من ثماني وأربعين ساعة فقط.

شعر بدوار بدأ يكتنف رأسه التي ملأها الصداع ليشترك الاثنان في زيادة معاناته اليوم، كان المكان في نفس مساحة المخزن الأول تقريبًا غير أنه كان به جالونات قماشية كبيرة بداخلها ملابس أطفال بمختلف المقاسات المعروفة إلى جانب الكثير من الأدوات الصحية المغلفة بعناية شديدة.

«نورا»

نطقها «إسماعيل» بصوت عالٍ مناديًا على زوجته لكن الصمت المطبق هو من جاوبه في تلك اللحظة، فجأة خرج «أمجد» من خلف إحدى الجالونات الكبيرة ممسكًا بـ «نورا» التي كانت مقيدة اليدين خلف ظهرها وواضعًا مسدسه على جانب وجهها الأيمن.

هنا خفق قلب «إسماعيل» وشعر كأن روحه تنتزع منه بينما طغي إحساس الخوف على كل مشاعره في تلك اللحظة بالذات

خشية على حياه زوجته التي رأى الكثير ليصل إليها. هنا هتفت «نورا» في شوق كبير

«إسماعيل»

«نورا»

تلاقت عيناهما للحظات بينما بداخلهما مشاعر مختلطة كأمواج البحر شوق وحب خوف وفزع أفاق بعدها «إسماعيل» وهو يرفع مسدسه بدوره موجهًا إياه نحو «أمجد» قائلاً:

«سلم نفسك يا أمجد، المكان محاصر ومفيش داعي لأي حاجة تعملها»

كعادته ضحك الأخير بسخرية ثم أجابه بهدوء عجيب لا يتناسب مع الموقف:

«لأ يا سيادة الرائد ... لأ ... مش أنت اللي تدي الأوامر هنا، أنا اللي أقول إيه اللي يحصل وإيه اللي ميحصلش»

نظر «إسماعيل» له بغضب كبير فعاد ينظر بعيناه على زوجته فرأى دموعها تسيل على وجهها، وشعر بداخله أنها ليست دموع خوف بل فرحة

فرحة رؤياه مرة أخرى وبالأخص رؤيته حيا فرغم ذلك الموقف الرهيب التي لأول مرة تراه وتعيش لحظاته الرهيبة منذ زواجهما لم تفكر «نورا» في نفسها بل فكرت في زوجها وحبيبها، فكرت في الشخص الذي يحميها بعد اللّه عز وجل والتي وهبت قلبها ونفسها له،

لم تخاف على نفسها بقدر ما خافت هي عليه وعلى حياته خشية أن يؤذوه هؤلاء المجرمين الذين لا يعرفون الرحمة.

«عايز إيه يا أمجد؟»

تساءل «إسماعيل» وهو يوجه سلاحه نحو الأخير الذي أجابه على الفور:

«عايز طيارة خاصة تاخدني بره مصر وعشرين مليون دولار»

قطب الرائد «إسماعيل يسري» حاجبيه أكثر وهو ينظر له لكن «أمجد» انفجر ضاحكًا بسخريته المعهودة مردفًا:

«تقدر تجيبهم في أد إيه يا سيادة الرائد؟»

زاد غضب الرائد في حين تخلي الآخر عن سخريته وقال بحزم واضح:

«عايـز أحصـرك عليهـا ... حخليـك تشـوفها بتمـوت قـدام عينـك يـا ... يـا بطـل»

كاد «إسـماعيل» ينفجـر غضبًـا ويطلـق رصاصاتـه نحـو لكنـه تمالـك نفسـه مـن أجـل زوجتـه في حـين قـال «أمجـد» أمـرًا إيـاه:

«أرمي السـلاح .... أرميه»

صـرخ في الكلمـة الأخيـرة وهـو يقولهـا فصاحـت «نـورا» محـذرة زوجهـا «لا يـا اسـماعيل متعملـش كـده»

«اخرسـي»

قالهـا «أمجـد» فاضطـر «إسـماعيل» لتنفيـذ الأمـر مستسـلمًا وألقـي سـلاحه بعيـدًا عنـه، هنـا دفـع «أمجـد» زوجـة «اسـماعيل» بقـوة فصرخـت وهـي تسـقط بالقـرب منـه ثـم رفـع سـلاحه في وجـه الأخيـر وهـو يقـول:

«دلوقتـي أنـت قتلـت رجالتـي مـع أنـي مكنتـش أتوقـع بصراحـة أنـك تقتـل سـت أشـخاص لوحـدك ... هههـه ... ده أنـت طلعـت بطـل خـارق يـا سـيادة الرائـد»

ظـل «إسـماعيل» صامتًـا كالحجـر وعينـاه تنتقـل بـين «أمجـد» وبـين «نـورا» الجاثيـة علـى الأرض لكنـه قطـع صمتـه قائـلاً بهـدوء يسـبق العاصفـة:

«سلمني مراتي يا أمجد وأوعدك أنك تفضل حي بدل ما تحصل رجالتك» اتسعت عيني السفاح ببريق جنوني رهيب وهو يقول في شرود «لأ ... مش حتاخدها»

ثم رمي مسدسه هو الآخر وتحرك نحو رجل الشرطة وهو يتمتم في غضب:

«أنا كنت ناوي أموتها هي الأول بس بعد كلامك ده أنا حبدأ بيك أنت، البقية في حياتك يا سيادة الرائد حتوحشنا كتير»

اقترب منه وعلى وجه ترقص شياطين الجحيم في سعادة بينما «إسماعيل» انتظر اقترابه منه ثم تحرك هو الآخر ليلتحم المقاتلان في شراسة كبيرة كان كأسدين يتصارعان على الزعامة

لكن مع كل الألآم والدماء التي تملأ جسد رجل الشرطة ومع كل ما مر به في الساعات القليلة الماضية لم تكن كفته ترجح نهائيًّا لذلك فقد أخذ «أمجد» يتفنن في ضربة بقسوة وقوة في وجه وصدره وأنحاء متفرقة من جسده، فمع كل ضربة من رجل الشرطة تقابلها ثلاثة ضربات على الأقل من السفاح الذي كان يفوقه طولا وقوة.

«إسماعيل ... إسماعيل»

صرخت «نورا» وهي تبكي على مشهد زوجها الذي خاض الكثير حتى ينقذها، سقط «إسماعيل» أرضا بينما أخذ «أمجد» يركله بقدميه في جانبه الأيمن لكن الأول استجمع ما تبقي من قوته وأمسك قدميه ووجه ضربة قوية بيمناه في منطقة ما تحت الحزام فتألم الأخير جدًا وهو ينحني ممسكًا أسفل بطنه بيديه لكن «اسماعيل» لم يضيع الوقت وقام على الفور ثم ركله بركبته اليمنى في وجه ليسقط «أمجد» أرضًا هذه المرة وتسيل الدماء من أنفه.

هنا تحرك الزوج المجروح سريعًا نحو زوجته التي صاحت باكية «إسماعيل ... الحمد لله يارب أن ...»

قاطعها وهو يحاول فك قيدها:

«شششش متتكلميش»

لكنها صرخت قائلة:

«إسماعيل .... خلي بالك»

حاول ان يلتفت بسرعة لكنه لم يجد الوقت لفعل شيء فعندما فقد باغته «أمجد» بضربة قوية في وجه تراجع على أثرها لمتران ثم تحرك السفاح نحوه مردفًا:

«أنت عنيد أوي يا سيادة الرائد»

ثم هوي بيده على وجهه «إسماعيل» لكن الأخير تفادها بصعوبة وهو يميل ويوجه ضربة بيده لمعدة السفاح الذي تأوه عاليًا وهو ينحي من شدة الألم في حركة غريزية ثم ضربه «إسماعيل» في وجهه بقوة فاعتدل «أمجد» الذي أحمر جزء من وجهه من شدة الضربات لكن «أمجد» لم يكن بالخصم السهل أبدًا لذلك تفادى يد «إسماعيل» التي كانت موجهة له كالمطرقة ثم انحني بجسده واحتضنه من خصره ثم رفعه عاليًا وتحرك به سريعًا ليقذف جسد «إسماعيل» نحو الجدار فصاح الأخير من قوة الألم «آآآآآخه»

وشعر «إسماعيل» بكيانه كله يرتج وهو يسقط أرضًا لكن «أمجد» لم يتركه فأنحني بعدما ركله عدة مرات وأمسك به ليجبره على الوقوف ثم حمله مرة أخرى وقذف به ثانية نحو الجدار، وعاد ليفعلها مرة ثالثة حتى أنه لم يستطع «إسماعيل» التحرك بعدها.

وقف «أمجد» يلهث بقوة بينما أنفاسه تتلاحق وهو ينظر لجسد الضابط المسيحي على الأرض، ووسط ذلك قال بصعوبة «دلوقتي حتشوف مراتك وهي بتموت، حدبحها ذي ما دبحت أمك وأختك وحماتك، أكيد طبعًا حعجبك المنظر إللي سيبتهولك في شقتك ... صح؟»

ثم تحرك نحو «نورا» التي ملأها الرعب أكثر وعجزت حتى عن الصراخ لكن كلمات «أمجد» الأخيرة كانت بمثابة الضغط على زر الطاقة بداخل رجل الشرطة، كانت بمثابة القوة المطلقة التي اجتاحت جسده فجأة أو مفعول السحر له كما يقول العامة من الناس في تشبيهاتهم أنه الغضب .... والخوف على حياه زوجته فلم يكن بالطبع يريد خسارتها بعد كل ما مر به اليوم، وبالتأكيد وبعد عناية الله الرحيم أولا وأخيرًا بدأت مادة الأدرينالين تفرز بكثرة في جسد البطل لذلك قام صائحًا بقوة غاضبة جبارة ارتجت لها جدران المكان

«لأاااااااا»

وأنقض على «أمجد» كليث شرس يلتهم فريسة كبيرة أتعبه صيدها .

كال له عدة ضربات في وجه جعلت الأخير يفقد الكثير من توازنه ثم تبع ذلك بضربة بأصابع يده اليمنى في عنقه جعلت «أمجد» يتألم وهو يمسك عنقه بكلتا كفيه بعدما شعر باختناق صاحبته ألآم رهيبة، ولم ينتظر «إسماعيل» أكثر فناوله ضربة قوية في معدته زادت من ألآم السفاح وهو ينحني للأسفل بينما في تلك اللحظة أمسك «إسماعيل» قطعة من ألواح سيراميك موضوعة بالقرب منه فوق إحدى الجالونات الكبيرة وهوي بها

بقـوة علـى رأس «أمجـد» لتتكسـر فـوق جمجمتـه ويسـقط أرضًـا في حين اتجـه الـزوج المغطـى بالدمـاء ليفـك أسـر زوجتـه الحبيبـة.

●●●

«إسماعيل»

نطقها الرجل والدماء تنزف من رأسه ووجهه، بينما جسده ممدد على أرضية ذلك المكان الذي شهد تلك المعركة الدموية الرهيبة. التفت الشاب الآخر والدماء تغطي نصف وجهه ليرى فوهة المسدس الناري الذي يمسك به الرجل تتجه نحوه، كان العرق يتصبب على وجهه رغم برودة الهواء في ذلك الوقت من العام وشعر بأن الزمن قد توقف في تلك اللحظة العصيبة وأنها النهاية المحتومة.

هنا عبثت به أفكاره وقادته ذاكرته لتعيد عليه بداية تلك الأحداث الرهيبة في ذلك اليوم الملحمي الذي لن ينساه أبدًا، هذا إن بقي على قيد الحياة.

«مش حسيبك تخرج من هنا حي ... أبدًا»

قالها «أمجد» وأصابع يده اليمنى مثبتة على زناد مسدس «إسماعيل» الذي كان بالقرب منه فمد يده وأمسك به ليقتل به رائد الشرطة وزوجته الرهينة.

هنا تمتم الأخير قائلاً بصعوبة:

«حعزيك لتاني مرة ... البقية في حياتك يا سيادة الرائد»

قالها و ...

وانطلقت الرصاصة النارية القاتلة لتسكن في الجسد ولتزهق روح أخري لتلحق بسابقتيها في ذلك اليوم الملحمي الرهيب ولكنها كانت روح «أمجد» نفسه الذي أطلق صوت حشرجة كبيرة بعدما اخترقت الرصاصة عنقه فأطلق صوت حشرجة مخيفة قبل أن يميل جسده على الأرض ويلفظ أنفاسه الأخيرة.

هنا قال «إسماعيل» ساخرًا لأول مرة في ذلك اليوم الذي لن ينساه أبدًا طوال ما حيي:

«في حياتك البقية يا أمجد»

لم تكن تلك الرصاصة من «إسماعيل» ولا من مسدس النقيب «أحمد «بدراوي» الذي وصل لتوه إلى المكان مع فرقة كاملة من رجال الشرطة، لكنها خرجت من مسدس «أمجد» نفسه الذي رماه قبل أن يلتحم مع «إسماعيل» بقوة والذي أمسكت به «نورا» بعدما استطاعت فك قيد يدها الثانية فقد حرر «إسماعيل» إحدى يديها قبل أن ينقض عليه «أمجد» في المرة الثانية واستطاعت هي تحرير يدها الأخرى بصعوبة

واستغلت وقت صراعهما لتختبئ خلف إحدى كتل القماش المنتشرة في المكان.

لقد رأت «نورا» زوجها على وشك الموت وكان من المستحيل - رغم ضعفها - أن تفقده إلى الأبد لذلك استجمعت تلك المرأة شجاعتها وضغطت على زناد المسدس وهي توجهه فقط – دون سابق خبرة – في اتجاه «أمجد» فخرجت الرصاصة لتصيب هدفها بتوفيق من الرحمن.

احتضنها «اسماعيل» وانهارت هي بين يديه باكية لكن فجأة تراخت يده من حولها وسقط جسده أرضًا بعدما نفذت طاقته البشرية سقط بطل الشرطة بعد حرب ملحمية خاضها في ست ساعات فقط.

●●●

أشرقت شمس اليوم التالي وتسللت أشعتها عبر النافذة الوحيدة في الغرفة داخل مستشفى «الشرطة» بالإسكندرية، ومعها تسلل صوت ضعيف إلى أذن «إسماعيل» الذي فقد الوعي لساعات طويلة بعدما تم نقله فورًا إلى المستشفى وتم عمل اللازم له من إسعافات ونقل دم جديد له بعد كمية الدماء التي فقدها في صراعه الرهيب يوم أمس.

مـازال صـوت يسـري في أذنيـه، أخيـرًا اسـتطاع تميـزه أنـه صـوت نحيـب وبـكاء بعـد وقـت ليـس بقليـل فتـح عينيـه بصعوبـة ليجـد زوجتـه تجلـس علـى الكرسـي المجـاور لفراشـه وهـي تنتحـب في حـزن شـديد، كانـت الرؤيـا مشوشـة بعـض الشـيء أمـام عينيـه لكنهـا مـع الوقـت بـدأت تتضـح شـيئا فشـيئًا، بعـد قليـل تـأوه بصعوبـة فانتبهـت لـه زوجتـه وقامـت مسـرعة وجلسـت بجـواره ثـم احتضنـت رأسـه في صدرهـا وهـي تقـول بحنـان كبيـر:

«إسـماعيل ... الحمـد للّه ... حمـدا للّه علـى سـلامتك يـا حبيبـي ... حمـدا للّه علـى سـلامتك»

وأخـذت تبكـي أكثـر لكنـه أشـار لهـا بيـده فتركتـه وهـي تنظـر لعينيـه متسـائلة فقـال بصعوبـة كبيـرة:

«الحمـد للّه أنـك بخيـر يـا حبيبتـي، عمـري مـا كنـت حسـامح نفسـي لـو حصلـك حاجـة»

عادت تحتضنه وهي تتمتم بهدوء وسط نحيبها:

«أنا ما كنتش خايفة على نفسي قد ما كنت خايفة عليك»

ابتسـم «إسـماعيل» وهـو يربـت علـى يديهـا برفـق ولـين، مـرت سـاعة بعدهـا اسـتطاع هـو أن يتنـاول وجبتـه وتم فحصـه مـن قبـل الطبيـب المختـص وقرابـة الظهيـرة طـرق أحدهـم بـاب الغرفـة ثـم

دخل النقيب «أحمد بدراوي» وعلى وجه ابتسامة كبيرة قائلا بود:

«حمدا للّه على سلامتك يا فندم»

بصوت هادئ يأتي من بئر سحيق أجاب «إسماعيل»

«اللّه يسلمك يا أحمد»

حيًّا النقيب زوجة الرائد وجلس على أقرب مقعد مواجه له فسأله «إسماعيل»

«إيه الأخبار؟»

أجاب النقيب «أحمد» بهدوء:

«كله تمام سعادتك، قبضنا على خمسة باقين من رجالة – عزيز – وصادرنا ممتلكاته ولقينا في بيته أوراق تخص ناس كتير»

عقد «إسماعيل» حاجبيه قليلاً متسائلاً:

«ناس؟ ..... ناس مين؟»

أجاب الشاب بهدوء:

«سعادتك حتعرف كل حاجة بس مش مني، في ناس بره عايزين يتكلموا معاك»

«مين دول؟»

«حتعرف سعادتك منهم كل حاجة»

تنهد «إسماعيل» وقد بدأ الشك يتسلل إلى قلبه لكنه قال أخيرًا «دخلهم»

وقبل أن يتحرك «أحمد» قال بهدوء:

«حست أذن سعادتك يا فندم الناس دول عايزين يكلموك على انفراد فبعد إذنك حستني أنا ومدام – نورا – بره»

نظرت «نورا» له ثم نظرت لزوجها الذي طمئنها بنظرة منه وإيماءة من رأسه فتحركت مستسلمة وهي تغادر الغرفة مع النقيب «أحمد» وما هي إلا ثواني قليلة حتى دخل ست أشخاص يرتدون بذلات سوداء أنيقة جدًا ويرتدي أحدهم نظارة شمسية كان من الواضح أنه أكبرهم سنًا ومقامًا قال بصوت هادئ رصين «صباح الخير يا سيادة الرائد وألف حمد اللّٰه على سلامتك»

أجاب «إسماعيل» بنفس الهدوء:

«اللّٰه يسلمك ... مين حضراتكم؟»

أجابه الرجل بعدما جلس بجواره على المقعد الذي كانت تجلس عليه زوجته:

«أنا العميد – جلال فتحي – من الأمن الوطني والسادة زملائي في الإدارة»

ارتفع حاجبًا «إسماعيل» قليلاً باستغراب شديد وهو يردد بآلية «أهلاً وسهلاً يا فندم»

ابتسم الرجل وهو يقول:

«في الحقيقة بعد اللي عرفناه عن إللي أنت عملته إمبارح مع – عزيز – ورجالته قررنا نجيلك بنفسنا وبسرعة علشان ننقذ ما يمكن إنقاذه، أنت بطل حقيقي يا سيادة الرائد وأنا أوحييك على شجاعتك دي بس في نفس الوقت أنت ضرتنا أوي»

تساءل الرجل باستغراب «ضرتكم؟!!! ... ازاي؟»

تنهد العميد «جلال» وهو يجيبه

«بص يا سيادة الرائد أولاً كل كلمة حتسمعها دلوقتي مفيش جنس مخلوق في الكون حيعرفها ولا حتى إدراتك في المديرية ولا مراتك ولا أي حد، اتفقنا؟»

هز «إسماعيل» رأسه موافقة فأكمل الرجل حديثه:

«إحنا مجموعة بنشتغل في أدارة الأمن الوطني زي ما قولتلك ودي إدارة كبيرة وليها وضعها ومكانتها في البلد زي ما

أنـت عـارف، بـس الحقيقـة أنـا والسـادة الضبـاط دول بنشـتغل لحسـابنا أو بمعنـي تانـي بنشـتغل علـى مهمـة سـرية مفيـش حـد يعـرف عنهـا حاجـة حتـى رؤسـاء الإدارة عندنـا» هنـا أكمـل أحـد الرجـال الواقفـين بجـوار «العميـد جـلال» مبتسـمًا:

«يعنـي زي مـا تقـول كده إحنـا زي «الخفافيـش» مـا بنشـتغلش غيـر في الليـل وفي الخفـاء مـن غيـر مـا حـد يحـس بينـا» نظـر «إسـماعيل» متسـائلاً وقـد قطـب حاجبيـه قليـلاً فأكمـل العميـد «جـلال» حديثـه:

«أحنـا مـن حوالـي سـنتين وصلتنـا معلومـات عـن شـبكة كبيـرة شغالة في مصـر بتضـم أعضـاء كتيـر فيهـا و «عزيـز» ده واحـد منهـم بـس هـو عبـارة عـن صـورة أو واجهـة للـي وراه ودول بقـوا كتيـر أوي دلوقتـي، الشـبكة دي بتشـتغل في أعمـال غيـر مشـروعة زي المخـدرات والأدويـة منتهيـة الصلاحيـة والأطعمـة الفاسـدة وغيرهـا مـن أعمـال مشـبوهة كتيـر، واكتشـفنا كمـان إن بعضهـم ليهـم علاقـة مـع جهـات عليـا في البلـد، ولمـا رفعـت تقريـري لـلإدارة بمراقبـة أعضـاء الشـبكة دي جالـي الجـواب بالرفـض لأن فيهـا نـاس ليهـم أسـمهم ومراكزهـم مـع «النظـام» في البلـد وأي اجـراءات حتتاخـد ضدهـم حتحـط الإدارة كلهـا في موقـف محـرج»

ردد «إسماعيل» الكلمة الأخيرة في دهشة كبيرة:

«موقف محرج؟!!!!! .... أنتم؟»

ابتسم العميد «جلال» بتهكم وهو يقول:

«تصور إحنا!!! إدارتنا تتحط في موقف محرج وهي أصلا من أكبر خمس جهات عليا في البلد كلها»

ابتسم «إسماعيل» ساخرًا في حين أخذ الرجل يكمل ما بدأه من حديثه:

«وبصراحة أنا والسادة الضباط أو أحنا - الستة - معجبناش الوضع، هي الناس مستحملة أدوية وأطعمة فاسدة ما كفاية تجار الصنف إللي مبوظين الشباب وإللي إحنا في حرب معاهم من سنين وكل ما نوقع واحد يطلع بداله عشرة، أنت عارف طبعًا أن كل حاجة وليها اختصاصها بس إحنا شغلنا بيهتم بكل حاجة تضر أمن مصر»

ثم مد يده مستأذنا لزجاجة مياه صغيرة موضوعة بجواره وارتشف منها القليل قبل أن يضعها مكانها ويكمل حديثه:

«علشان كده قررنا نشتغل في السر ونراقب الناس دي اللي اتضح فيما بعد أنهم ناس تقال فعلاً وكتير جدًا، بيشغلوا

فلوسهم في أعمال غير مشروعة ويمكن حتستغرب لما تعرف أن فيهم رجال أعمال ورجال إعلام بيضللوا عليهم وقادة كبار من الداخلية بيساندوهم ومديرين بنوك لفتح حسابات وهمية لقينا فيها فوق الخمسة مليار جنيه»

«فووووو»

زفرها «إسماعيل» بقوة فابتسم بعض الواقفين أمامه لردة فعله، ولكنه كان محقًا فالرقم حقًا كبير لكنه تساءل بعد ذلك:

«طيب الناس دي مش محتاجة يعني عندهم إللي يعيشهم ملوك ليه بيعملوا كده؟»

أجابه العميد «جلال» ببساطة شديدة:

«علشان طبع الإنسان كده يا سيادة الرائد ... الطمع، قليل إللي بيقول الحمد لله على إللي عنده واللي ربنا كتبهوله ... على كده الغلابة يعملوا إيه؟»

تمتم «إسماعيل» بهدوء:

«فعلا ربنا يكون في عونهم، ده في بعض يدوب بتلاقي قوت يومها بالعافية وعايشين ومستحملين ... الحمد لله على كل شيء»

عاد العميد «جلال» لحديثه:

«دلوقتي يا سيادة الرائد بعد إللي عرفته خليني أوضحلك إللي حيتم، بعد إللي أنت عملته إمبارح خليت باقي أعضاء الشبكة دي ياخدوا حذرهم جداً ويمكن إحنا رصدنا اجتماع ليهم قبل ما نجيلك هنا وإللي اتفقوا فيه على وقف نشاطتهم كلها نهائيًّا لحين انتهاء التحقيقات وعلشان كده قررنا إحنا حاجة مهمة جداً تخليهم يرجعوا يشتغلوا تاني في أسرع وقت علشان نقدر نكمل مراقبتهم ويجي الوقت إللي نوقعهم فيه دفعة واحدة»

لاحظ الرجل الانتباه الكبير للرائد «إسماعيل» فاقترب منه قليلاً وهو يقول بحزم واضح يؤكد أن حديثه غير قابل للمناقشة:

«كل التحقيقات حتتحفظ ... مفيش كلمة حتتكتب في الجرايد أو تتقال في قناة فضائية ... الأعلام كله بكافة صوره مش حيشم خبر عن إللي حصل أمبارح، وأنت مش حتلاقي التكريم إللي تستحقه ولا ترقيات ولا علاوة ولا أي حاجة خالص»

صمت قليلا ليري رد فعل «إسماعيل» الذي لم يبدي أي شيء تجاه الحديث فأكمل قائلاً:

«أنت حيتم نقلك لإدارتنا لأنك حتفيدنا كتير بعد المعلومات إللي جمعتها على مدار الشهور إللي فاتت عن عزيز ورجالته ... حتبقى واحد مننا يا سيادة الرائد»

هنا شعر «إسماعيل» بتشويش عقلي وقلة في التركيز واجهاد بدأ يكتنفه فما مر به الرجل في الساعات الماضية ليس بالهين، مما جعله ذلك يتناسى جزء كبير من حديث العقيد «جلال» ويتساءل ببلاهة يلتمس له العذر فيها:

«معاكم؟ ..... أنتم مين؟»

في تلك اللحظة اعتدل الرجال في وقفتهم عندما قام العميد «جلال» من مقعده وهو يبتسم مجيبًا في هدوء كبير:

«ما قولنا لك يا سيادة الرائد ... إحنا الخفافيش»

تمت بحمد الله

للتواصل مع الكاتب على موقع الفيسبوك

https://www.facebook.com/ismail.mohmed.6

كما يمكنكم متابعة صفحة أعمال الكاتب مع أكثر من ٩٠٠٠ قارئ

«بيت الرعب – إسماعيل محمد»

الفهرس	الصفحة
إهداء:..	٥
مقدمة:..	٧
الفصل الأول مهمة صعبة:............................	٩
ليلة رأس السنة عام ٢٠١٤:...........................	١١
منتصف ديسمبر عام ٢٠١٧:............................	١٥
قبل ثلاثة أسابيع:......................................	١٧
الفصل الثاني ست ساعات:............................	٤٣
قبل المذبحة ب٢٤ ساعة:..............................	٤٥
يوم العملية الساعة الخامسة والنصف فجرًا:.........	٤٩
الساعة العاشرة صباحا في ذلك اليوم «قبل المذبحة»...	٧٣
الفصل الثالث سباق الموت:............................	٨١
الفصل الرابع يوم الحساب:............................	١١٩
الفصل الخامس الجولة الأخيرة:........................	١٥١

حقوق الطبع محفوظة للناشر

أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامى

يحظر نشر أو اقتباس أى جزء
من هذا الكتاب إلا بعد الرجوع
إلى الناشر